الدكتور عزت السيد أحمد

الغرب الجاني على نفسه

2015

WEST
OFFENDER
HIMSELF
Historical And
Political Study
By Prof. Dr.
Ezzat Assayed Ahmad

دراسات سياسية

العالم العربي
The Arab World
for Publishing

الدكتور عز السيد أحمد

الدكتور عز السيد أحمد

الغرب الجاني على نفسه

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

الغرب الجاني على نفسه

العالم العربي
The Arab World
for Publishing

☆ الكتاب : **الغرب الجاني على نفسه**
قراءة تاريخية وسياسية.
☆ الموضوع: **دراسات سياسية.**
☆ المؤلف : **الدكتور عزت السيد أحمد.**
☆ عدد الصفحات: ١٨٢ صفحة.
☆ قياس الصفحة: ب ٥ = ١٧ X ٢٤.
☆ النَّاشر: **العالم العربي للنشر.**
☆ **عمان.**
☆ الطبعة الأولى: **٢٠١٥م.**
☆ **تاريخ: ٢٠١٥/١٢/١ م.**
☆ تصميم الغلاف بريشة بيلسان.
☆ **الحقوق جميعها محفوظة.**
تمنع طباعة هٰذا الكتاب أو نشره، أو فصل منه، من دون موافقة خطيَّة من النَّاشر أو المؤلف. ويجب مراعاة أصول الاقتباس والتوثيق لدى اقتباس أي نصوص أو شواهد من الكتاب.
☆ بريد إلكتروني : **sameah3@gmail.com**

الإهداء

إلى الثورة السورية

التي عمّرت الجميع تماماً

مُقدِّمة الكتاب

كلما دفعت **الكتاب** للطباعة كانت الأحداث تتسارع أكثر من المتوقع، رُبَّما لا جديد فيها من جهة المبدأ ولٰكنَّهَا متزاحمة تزاحماً مربكاً. منذ تصاعدت الثورة السورية والدنيا غير الدنيا بكل تأكيد، ليس في هٰذا مبالغة ولا مركزة للعالم حول الثورة السوريَّة، ولٰكن هٰذه هي الحقيقة التي لا قد لا يدركها كثيرون.

الأحداث في تزايد ازدحامي رُبَّما قل نظيره عبر التاريخ. هٰذا في الظاهر المرئي، أما في الباطن وما وراء الكواليس فثَمَّة الكثير الكثير من الازدحام الداخلي في أكثر الدول والمحورية منها علىٰ خاصٍّ، والتَّشاركي بَيْنَ هٰذه الدَّول مثنى مثنى وثلاث ورباع...

ما هٰذا الكتب في عنوانه ومضمونه إلا واحداً من سلسلة كتب كثيرة كتبتها ونشرتها منذ نحو ثلاثين سنة وإلىٰ الآن، أي فيه استكمال إلقاء أضواء علىٰ فكرة واحدة من زاوية جديدة، وليس تشريحاً للفكر مستقلاً كاملاً، تلك الفكر هي السياسة الغربية تجاه الشرق وما يدور حولها وفيها.

منذ ربع القرن كتبت: الأمم المتحدة بَيْنَ الاستقلال والاستقالة والتَّرميم ١٩٩٣م[١]. وقبله كتاب: كيف ستواجه أمريكا العالم ١٩٩٢م[٢]، وبعدهما كتاب: انهيار أسطورة السلام ١٩٩٤م[٣]، ومنها كتاب انهيار مزاعم العولمة ٢٠٠٠م[٤]، ومنها مناقشات مباشرة لهذه الظاهرة في كتبي: أعاجيب السياسة الأمريكية ٢٠٠٨م[٥]، عالم مجنون ٢٠٠٨م[٦]، بشرية عمياء عرجاء ٢٠٠٩م[٧]... وقبلها وبعدها عشرات المقالات.

علىٰ أنَّ الحقيقة التي يجب أن تكون واضحة وعي ما كنت أشير إليها دائماً أنَّهَا المصالح وحكم القوي، حَتَّىٰ ولو فَقَأَتْ عين العقل والمنطق. الذَّنب ذنبنا نحن لا ذنبهم. إذا كنَّا نحن متخاذلين أمام حقوقنا ومصالحنا، متخاذلين أمام امتهان كرامتنا... فماذا ذنب الذِّئب في أن يلتهمنا، وما ذنب الثَّعلب في أن يلهو بنا ويلعب، وما ذنب الجرادين في أن تجعلنا مسخرةً...؟!

والحقيقة الثاني التي يجب أن تكون واضحة هي أنَّ الدُّول الغربية أكثر احترما للمسلمين من دول الإسلام[٨].

---

(١) . الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقالة والترميم. مكتبة دار الفتح. دمشق. ١٩٩٣م.

(٢) . كيف ستواجه أمريكا العالم؟. دار السلام للطباعة. دمشق. ١٩٩٢م.

(٣) . انهيار أُسطورة السَّلام؛ مصير السَّلام العربي الإسرائيلي. الطبعة الأولى: مكتبة دار الفتح. دمشق. ١٩٩٦م .الطبعة الثانية: دار الفكر الفلسفي. دمشق. ٢٠٠٣م.

(٤) . انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها اتحاد الكتاب العرب. ٢٠٠٠م.

(٥) . أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية. دار الفكر الفلسفي. دمشق. ٢٠٠٨م.

(٦) . عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية. دار الفكر الفلسفي. دمشق. ٢٠٠٨م.

(٧) . بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية. دار الفكر الفلسفي. دمشق. ٢٠٠٩م.

(٨) . لهذا عنوان مقال نشرته في ٧/٢٨ / ٢٠١٤م ونصه ما يلي لهذه الحاشية.

الذين يرون التَّآمر الدولي علىٰ الإسلام يظنون أنَّ المسلمين لا يمكن أن يعيشوا في أيِّ دولة أوروبية غربية أو أمريكا.

الحقيقة خلاف ذَلكَ تماماً إنَّهُم يعيشون في تلك المجتمعات أبهى حالات الحرية والديمقراطيَّة والمساواة التي لا تعرف بلدانهم الأصلية ربع ربع ربع ربع ربع ربع ربعها حَتَّىٰ في حقوقهم الدِّينيَّة الإسلاميَّة.

الأنظمة الغربيَّة تحارب الإسلام وتحارب المسلمين في بلاد الإسلام، ولَكنَّهَا تعامل المسلمين الذين يعيشون عندهم باحترام تام الأركان، سواء أكان هؤلاء المسلمون أبناء البلد أو من بلاد العرب والمسلمين...

من يتجوَّل في أوروبا يجدها حدائق غناء وجنات...

ومن يتجول في بلادنا يرها وكأنها خرابات..

ومع ذَلكَ نجدهم يحسدوننا علىٰ بلادنا...

عندهم من الخيرات ما يسد عين الشَّمس...

ويحسدوننا علىٰ خيراتنا الخام...

لماذا؟

أحد أجزاء الجواب:

لأنَّ حكَّامهم يفعلون أيِّ شيء لمصالح بلدانهم وشعوبهم.

إذن في أحكامنا اللاحقة، مع تقدير وجود الاستثناء، نكرر للمرة المليون يجب التمييز بَيْنَ الشُّعوب والأنظمة. إذا قلنا الغرب القذر فنعني السِّياسة الغربيَّة ولا نعني الشَّعب الغربيِّ بحال من الأحوال.

ومع كل الوضوح في هٰذه الفكرة تحديداً فإنها لن تجد أي صدى، وسيتم الاصطياد في الماء العكر دائماً وقلب المعنى وقلب السياق كدأب الغرب في

سياساته كلها تجاه المنطقة والإسلام عامَّة. بل من تابع تصريحات القادة الغربيين منذ سنة وحَتَّىٰ الآن يحسب أنَّ أوباما وكاميرون وهولاند تلامذة الشَّافعي وابن حنبل في الدِّفاع عن الإسلام والحرص عليها، بل لا أحسب إلا أنَّ كثيراً من الغربيين قد بات يخشى من أن يسلم هَؤلاء القادة أو أن يكونوا قد أسلموا فعلاً لكثرة ما أعلنوا دفاعهم عن الإسلام الحنيف الصَّحيح ورفضهم تشويه الإسلام. في حين أنَّ حربهم علىٰ الإسلام صريحة يراها أعمى القلب من العالم الإسلامي... ولقد رأها كثير من الغربيين المنصفين.

من حق الغرب أن يحمي مصالحه، أن يدافع عنها، ولٰكنَّ مشكلته أن يتجاوز ذَلكَ إلىٰ العدوان الصريح علىٰ كرامة شعوب وأديان أُخْرَىٰ قد لا تستطيع الرد فوراً ولٰكنَّهَا لا يمكن أن تظل ساكتة إلىٰ الأبد. بل إنَّ السلوكات الغربيَّة كلها تقريباً تقود الغرب خاصة إلىٰ الهاوية السحيقة بقدمية.

الغرب يجني علىٰ نفسه بنفسه. الغرب يقود نفسه إلىٰ الهاوية وهو يظن أنَّهُ يهرب منها، الغرب يظنُّ نفسه أنَّهُ يقضي علىٰ عدوه في حين أنَّهُ يجعل عدوه أكثر قوة وأكثر عناداً وأكثر تجبراً... وسيجد نفسه فجأة وجهاً لوجهاً أمام التَّحدِّي الذي ظلَّ يهرب منه إليه من دون أن يدري، ورُبَّما الأصح من دون أن يكون أمامه غير هٰذا الخيار؛ إن استسلم وقع في الهاوية وإن هاجم وقع في الهاوية المقابلة... علىٰ تتالي عشرات السنين حصر نفسه بَيْنَ هاويتين لا يمكن إلا أن يقع في واحدة منهما.

الفصل الأول

أمريكا تحفر قبرها بيدها

الولايات المتحدة تحفر قبرها بيدها[٩] الآن كلامٌ تكرَّر كثيراً في الآونة الأخيرة، ولكنَّهُ في حقيقة الأمر ليس بالجديد، فمنذ بدأت معامل المشروع الأمريكي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في الظُّهور ظهرت الدِّراسات والأبحاث التي تتناول آفاق المشروع الأمريكي والسِّيادة الأمريكيَّة في العالم، ومنها كتابي الذي صدر منذ أربع عشرة سنة

(٩) .كتب لهذا المقال في الأول من نيسان/ أبريل ٢٠٠٥م، ونشر في تاريخه بمواقع التواصل الاجتماعي، في بعض الصحف فيما أذكر، وفاتني فيما أحسب ضمه إلىٰ أي من كتبي التي صدرت عن أمريكا بعد ذَلكَ التاريخ، فضضمته إلىٰ لهذا الكتاب.

(١٩٩١) تحت عنوان كيف ستواجه أمريكا العالم[١٠]؟ وكان الفصل الأخير بعنوان الحرب من أجل السلم الذي بينت فيه أنَّ الولايات المتحدة مُقْدِمَةٌ علىٰ حروب في أماكن محدَّدة من العالم من أجل الحفاظ علىٰ سلمها، وكانت الخاتمة مخصوصةً لتبيان أنَّ الولايات المتحدة إمبراطوريَّة علىٰ طريق الهاوية.

كلُّ ذلك شيءٌ وما نحن فيه اليوم شيء آخر، شيء آخر تماماً. ذلك أنَّ الدِّارسات السَّابقة دراسات وأبحاث نظريَّة، صحيحٌ أنَّهَا سبقت الواقع، ولٰكنَّها في حقيقة الأمر كانت شبهَ عاجزةٍ عن توقُّع ما تمارسه الولايات المتحدة اليوم من جرائم في حقِّ الإنسانيَّة والأديان والقيم.

يوم أمس الخميس ٢٠٠٥/٣/٣١م أجرت محطَّة الجزيرة الفضائية لقاءً مع الأسير المغربي محمد مزوز (وأرجو ألا أكون قد نسيت الاسم) المفرج عنه من معتقل چوانتانامو. الذي هو واحدٌ من آلاف اعتقلتهم الولايات المتحدة تعسفيًّا وزجَّتهم في معتقل چوانتانامو؛ كلُّ من له لحية تمَّ اعتقاله، كلُّ من اسمه عربيٌّ تمَّ اعتقاله... آلاف من المعتقلين لم تثبت الإدانة (بالشروط الأمريكيَّة) إلا علىٰ أربعة منهم، ومع ذلك فالكلُّ ما زالوا معتقلين.

ما زالوا معتقلين أمر يسير وسهل، سهل جدًّا ومقبول جدًّا أمام ما يحدث في هٰذا المعتقل، أي اللامعقول صار معقولاً أما هول الممارسات التي تتم في هٰذا المعتقل.

---

(١٠) . عزت السيد أحمد: **كيف ستواجه أمريكا العالم؛ الهيمنة الأمريكية والنظام العالمي الجديد** . دار السلام . دمشق . ١٩٩١م.

قبل أن نتحدث عما لا يجوز السكون عنه بأي حال من الأحوال، وما يجب أن يعرفه كلُّ عربيٍّ ومسلمٍ بالضرورة، أشار المعتقل إلىٰ أنواع التعذيب التي تتم هناك.

الضرب والكسر صار معقولاً أمام الممارسات الأمريكيَّة الجديدة، إنَّهُم يعرُّون المعتقلين أياماً تعريةً تامَّةً، وهم من هم في فهم العورات، ناهيك عن انتهاك كلِّ القيم الإنسانيَّة في هٰذه الممارسة الإذلاليَّة حَتَّىٰ ولو كانوا لا يعرفون الله لا هم ولا المعتقلون. ثَمَّ يسلطون عليهم كلاباً متوحشة جائعةً تنهش في أجسادهم، وقد أشار المعتقل إلىٰ الكثير منهم قد بترت بعض أعضائه بسبب ذٰلك، لأنَّهُم وبعد أن تعضهم الكلاب يتركونهم أيضاً عراة مقيدين حَتَّىٰ تتعفَّن جراحهم. ناهيك عن استخدام الكهرباء هٰذا الاختراع العظيم، في تعذيب المعتقلين لانتزاع الاعترافات منهم، وأية اعترافات.

وقد تحدث أيضاً عن الاغتصاب، وحسب سياق الكلام أن المحققات هن اللواتي كن يهدِّدن بذٰلك أو يقمن به، وقد سمعنا من آخرين أنَّ المحقِّقات يدخلن عاريات علىٰ المعتقلين في أثناء التحقيق.

رُبَّمَا يتمنَّى واحدٌ ممن يقرأ ذٰلك أن يكون معتقلاً، ولٰكن لماذا يتمنى بإمكانه أن يذهب إلىٰ هنالك ويجد مكانه. ولكن ليتذكر أنَّ دماء الحيض ستلطخ وجهه كما فعلت بعض المحقِّقات حسبما أشار المعتقل المغربي. لم تفعل المحققات ذٰلك من باب المتعة ولٰكن من باب الإذلال.

لن نستفيض في أساليب التَّعذيب، وحسبنا أنَّ ذٰلك يعطي مؤشراً ولو صغيراً علىٰ الاحتمالات الأخرىٰ الممكنة التي مارسها الأمريكيون في چوانتانامو.

ولٰكنَّ الأمر الذي لا يجوز السكوت عليه علىٰ الإطلاق، وهو ما أشار إليه المعتقل محمد مزوز على أنَّهُ أكثر ما أزعجهم، وكان الأمريكيون يدركون أنَّ هٰذا أكثر ما يزعجهم، هو أنَّهُم كانوا يلقون القرآن الكريم في بالوعة المرحاض/ بيت الخلاء، كانوا يمزقونه ويلقونه في المرحاض، ويبولون عَلَىٰ القرآن الكريم...

الأمر ليس خطيراً كما تتصورن. إنَّهُ أخطر بكثير جدًّا جدًّا جدًّا مما يمكن أن تتخيلوا وتتصورا. سيان أكنتم تؤمنون بالله أم لا تؤمنون.

ماذا ننتظر بعد ذٰلك أيُّها السَّادة؟؟

ماذا ننتظر أكثر من ذٰلك أيُّها السَّادة؟؟؟

حدثت فظائع سجن أبو غريب التي لا يمكن أن تقبل ولا أن تطاق وسكتنا فوصلنا إلىٰ ما هو أعظم وأخطر.

أتدرون ماذا حدث في معتقل أبو غريب؟

ما عرفتموه من وسائل الإعلام ليس إلا صورةً مصغَّرةً لما حدث ويحدث. لقد وصلتنا بضع صور من آلاف الصور عن اغتصاب الجنود الأمريكان للسجينات العراقيات اغتصاباً جماعيًّا... صور قليلة هي التي وصلتنا عن هٰذا الاغتصاب للماجدات العراقيات... وسكتنا فوصلنا إلىٰ ما هو أعظم بكثير.

صور قليلة وصلتنا عن العبث الجنسي الذي كان يفرضه الجنود الأمريكان علىٰ المعتقلين؛ يجبرونهم علىٰ ممارسة اللواطة مع بعضهم بضروب من العبثية الجنسيَّة، بل لقد روىٰ المفرج عنهم كيف أنَّ المرء منهم يفاجئ بعد أن يرفع الغطاء عن عينيه أنَّهُ كان يمارس الجنس مع صديقه أو ابن عمه أو أخيه... ومنهم من ألزم على ممارسة الجنس مع

أختـه... الصـور وصـلتنا وقـد نشـرتها بعـض الصُّـحف العالميَّـة. وسـكتنا، سكتنا فوصلنا إلى ما هو أعظم.

صور قليلة وصلتنا منذ فترة غير بعيدة تصور لنا الجنود الإنجليز الأشاوس وهم يلعبون برؤوس الضَّحايا كرة القدم... الله أكبر... يقطعون رؤوس العراقيين ويلعبون ويتقاذفونها بالأرجل!!! هٰذه هي التَّسلية التي قبلنا بها لما سكتنا علىٰ احتلال العراق، لما تكالبت الحكومات العربيَّة علىٰ الشَّكوى من الديكتاتور صدام حسين الذي يهدد أمنها بامتلاكه أسلحة الدمار الشامل، وسعت هٰذه الحكومات سعي المسعورين للقضاء علىٰ نظام صدام حسين... قضي علىٰ هٰذا النظام، ووصلنا إلىٰ ما وصلنا إليه مما ترون... سكتنا، رأينا الصور وسكتنا، فوصلنا إلىٰ ما هو أعظم من ذٰلك وأخطر.

وضع أبناؤنا في أقفاص القرود في چوانتانامو، وصاروا طعاماً للكلاب، ورأينا ذٰلك كله بأمهات أعيننا لا بالنقل ولا التواتر... وسكتنا، فوصلنا إلىٰ ما هو أعظم.

صارت لحى أبنائنا التي يعتزون به فوطاً نسائيَّة تمسح بها دماء حيض المحققات الأمريكيات وسكتنا، رأينا ذٰلك وسكتنا فوصلنا إلىٰ ما هو أعظم.

منذ أيام وصلني تقرير مصور عن مساجد في فلسطين تحولت إلىٰ خمارات ونوادي عهر ودعارة، وقد علمنا بمثل ذٰلك منذ سنوات، وسكتنا، فوصلنا إلىٰ ما هو أعظم.

منذ سنوات وهم يشتمون النبي العربي ويصفونه بالأوصاف البذيئة القميئة والسفيهة وسكتنا، قرأنا ذٰلك مرَّات ومرَّات ومرَّات وسكتنا...

وأدباً أقول سكتنا، لأنَّ الحقيقة أنَّ الكثيرين تشقَّقت أفواههم فرحاً ومتعةً..!!

سنجد اليوم من يقول: وما القرآن إذا فعلوا فيه ما فعلوا؟ إنَّهُ نصف كيلو ورق، وهناك الكثير الكثير من النسخ...

هل سننتظر هٰذه الإجابة؟؟

أم سنسكت لننتظر ما هو أعظم؟

الجمعة ١/٤/٢٠٠٥م.

الفصل الثاني

على نفسه جنى الغرب

على نفسه جنى الغرب هو عنوان المقال الأول من هٰذا الفصل الذي يتألف من ثلاثة مقالات قصيرة خاطفة كتبت ونشرت في تواريخها المرقومة. الثاني هو: من يصنع التطرف الإسلامي؟ والثالث هو: تباً لكم كيف تحكمون.

على نفسه جنى الغرب[١١]

لقد حذَّرنا منذُ بداية ظهور الموقف القذر، قلنا للجميع إنَّ استمرار محاصرة الثَّورة السُّورية سيفجر بركاناً يحرق المنطقة وما حول المنطقة في أقلِّ تقدير.

(١١) . بهٰذا العنوان ذاته كتب هٰذا المقال ونشر في مواقع التواصل الاجتماعي بتاريخ في ٢٢/١١/ ٢٠١٣م. وهٰذا العنوان كان نواة فكرة الكتاب بعد نحو سنتين من نشره.

لم تصدقوا فذوقوا وبال ما صنعتم.

البركان بدأ ينفثُ دخانه منذ أشهر...

وفي هٰذا السِّياق نقول للبنانيين الذي يخافون من انتقال الفوضى إلىٰ لبنان، نقول لهم: لا تخافوا، الفوضى لن تنتقل إلىٰ لبنان، الفوضى ستكمل انطلاقتها إلىٰ العالم من لبنان.

المسألة بسيطة في حقيقة الأمر وليست معقدة.

فمنذ ما قبل أيِّ ظهور لأيِّ فكرٍ جهاديٍّ، الجميع حارب الثَّورة السُّورية خوفاً من ظهور الجماعات الجهاديَّة، حسب زعمهم، فظهرت الجماعات الجهادية، فاستمروا في محاربة الثَّورة السورية بسبب الجماعات الجهاديَّة...

ماذا تنتظرون بعد ذٰلكَ؟

هل نخطئ إذا قلنا: ترقبوا بركاناً يأكل الأخضر واليابس في بلادكم، ولا تعتبوا علىٰ أحد فأنتم من زرع وأنتم من سيحصد؟!

ولا تبتعدوا كثيراً، منذ أشهر غير قليلة بدأ شباب أوروبيون يتحرَّقون للدِّفاع عن الشَّعب السُّوري، منهم المسلمون ومنهم المسيحيون، من شدَّة ما رأوا من هول المأساة...

فماذا فعل الغرب؟

أعلن تخوفه من هٰذه الظاهرة، وبدل أن يحتويها زاد في الحصار علىٰ الثَّورة السُّورية، أي زاد في النِّقمة، وضاعف فرص ازدياد أعداد الجهاديين إلىٰ حدٍّ كبيرٍ...

وما زال السُّلوك الغربي يصنع دماره بنفسه!!!

نرجو أن لا تعتبوا علينا، لسنا المسؤولين أبداً عن ذٰلكَ.

من يصنع التطرف الإسلامي؟[١٢]

تشرد أكثر من اثني عشر مليون سوري!!!

كلُّ ما فعله العالم هو تقديم بطانيَّات وفراشي أسنان بلا معجون...

تشرَّد ألفا مسيحي في الموصل فتكركب العالم كلُّه وهو في حالة استنفار وإدانة ولا أدري ماذا يحاك من وراء الكواليس...

ألفا مسيحي غادروا... غادروا الموصل، فاهتاج العالم وثار وما زال في حالة استنفار...

وأكثر شيء علىٰ قناة العربية...

في حين أنَّ أبشع المجازر والتَّهجير والتَّطهير الدِّيني ارتكبها المسيحيون بحقِّ نحو مليوني مسلمٍ في أفريقيا الوسطى... ولم يتحرك ساكن في المجتمع الدولي!!!

أبشع المجازر والتَّهجير والتطهير الديني ارتكبت بحقِّ مئات آلاف المسلمين في بورما ولم نجد أيَّ صخبٍ ولا ضجيج لإدانة ذَلكَ من قبل المجتمع الدولي...

أكثر من اثني عشر مليون مسلم شردهم النِّظام السُّوري وقتل مئات الألوف بمجازر متنوعة علىٰ مدار أكثر من ثلاث سنوات والمجتمع الدولي لا يتصرف أيَّ تصرف...

ملايين المسلمين في إيران يعانون التَّنكيل والتَّمييز والقتل ولا أحد يدري عنهم شيئاً...

هٰذا كلام في الطائفية،

هٰذا كلام في الحقد الطائفي...

---

(١٢) .كتب هٰذا المقال ونشر في مواقع التواصل الاجتماعي بتاريخ في ٢١/٧/ ٢٠١٤م.

هٰذا كلام في الحرب علىٰ الإسلام...

لا داعي للف والدوران...

ويسألون المسلمين: لماذا تكرهوننا؟

من يكره من يا عم؟؟؟

ألستم من يصنع التَّطرُّف الذي لا يقبل الحوار؟

تبا لكم كيف تحكمون[١٣]

صحافي ألماني استضافته الدولة الإسلامية وأحسنت استقبال وضيافته وتأمينه ليرى بعينيه حقيقة الأوضاع والأحداث، وبعد ستة أيام من معايشة المناطق التي تسيطر عليها الدولة الإسلامية تحدث عن العدل، وعن الطيبة، وعن التسامح، وعن المعاملة الحسنة من التنظيم للجميع، وتأمين الخدمات للناس، وتأمين الخدمات المجانية التي لا تقدم في دولة من العالم للمواطنين... وبعد ذٰلكَ كله قال:

مع كلِّ قنبلة تُلقى عليهم وتصيب مدنيًّا يتزايد عدد الإرهابيين!!!

لا إلٰه إلا الله!!

أيعقل ذٰلكَ؟

بعد كل هٰذه الأوصاف التي قدمتها وشرحتها أنت بلسانك واعترافك بأنَّ ما يحدث عدوان علىٰ أبرياء، علىٰ مدنيين تعتبر من يغضب علىٰ هٰذا العدوان إرهابيًّا؟!

غير معقول:

(١٣) .كتب هٰذا المقال ونشر في مواقع التواصل الاجتماعي بتاريخ في ١٢/٢٥/ ٢٠١٤م.

وهل تريدون منهم كلما ألقيت عليهم قنبلة أن يسجدوا لأمريكا؟

ولماذا تقول كلما أطلقنا عليهم صاروخاً زاد عدد الإرهابيين ولا تقول يزداد عدد الحاقدين علىٰ حقارتكم ووحشيتكم وعدوانيتكم؟!

هٰذه هي موازين حضارة الغرب.

بهٰذه الموازين يروننا إرهابيين وهم يعترفون ببراءتنا... هم يروننا دفاعنا عن أنفسنا إرهاباً...

أذكر مثالاً كررته غير مرة في أكثر من موضع منذ سنين عن جندي أوروبي في أوائل القرن الماضي ورُبَّما أواخر قبل الماضي، إنچليزي فيما وقيل بلجيكي، المهم الفكرة وهي حقيقة. أرسل إلىٰ أهله من مستعمرة إفريقيَّة رسالة يطمئنهم علىٰ نفسه، ومما قال فيها:

. تخيلوا كم هم قذرون الإفريقيون... كان بَيْنَ يدي أسير مقيد، وجهت البندقية إلىٰ رأسه لأقتله فبصق في وجهي هٰذا الإفريقي القذر...

فتخيلوا كم هم قذرون!!!

Nedal Deep

الفصل الثالث

براعة الغرب في صناعة الأعداء

يتكون هٰذا الفصل من مقالين كتبا ونشرا في تواريخهما المرقومة أدناهما، ضما إلىٰ بعضها هنا للتناسب وصغر حجميهما، وبينهما عشرة أيام. الأول حمل عنوان أطالب بتحويل قادة الغرب إلىٰ المصحات النفسية، والثاني براعة الغرب في صناعة الأعداء، وكلاهما تنازع عنوان الفصل مع عنوان ثالث هو: قادة الغرب إما بلهاء أو أغبياء... واستقر العنوان علىٰ براعة الغرب في صناعة الأعداء.

أطالب بتحويل قادة الغرب إلى المصحات[١٤]

حقيقة لا مزاحاً ولا تهكماً أطالب بتحويل قادة الغرب إلىٰ مصحات عقلية فقادة الغرب إمَّا أغبياء أو بلهاء، هٰذا باعترافاتهم هم لا باتهمنا لهم.

(١٤) . بهٰذا العنوان ذاته كتب هٰذا المقال ونشر في مواقع التواصل الاجتماعي بتاريخ في ٢٥/٨/ ٢٠١٤م.

قال الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند في مطالع الأسبوع الأخير من شهر آب/ أوغسطس ٢٠١٤م: «لو كنا تصرَّفنا علىٰ نحوٍ سليمٍ لضمان نقل السُّلطة في سوريا قبل عامين لما كنَّا نواجه الآن الدَّولة الإسلاميَّة... ولو أنَّ القوى الكبرى اتَّفقت فيما بينها حول التَّعامل والرَّدِّ في قضية استخدام النظام للأسلحة الكيماوية قبل عام لما كنا الآن في مواجهة هٰذا (الاختبار الرهيب) بَيْنَ الديكتاتور والجماعة الإرهابية».

هٰذا الكلام يحتاج وقفة مطولة لا محض تعليق صغير. إنَّهُ بداية إقرارٍ صريح بأنَّ قادة الغرب إمَّا بلهاء أو أغبياء، لأنَّهُم لم يدركوا بداهات أدركها صغار الشَّعب السُّوري من المثقفين وغير المثقفين.

لا، بل إنَّ هٰذا التَّحذير قيل لهم، قيل لوفودهم، قيل صراحة وضوحاً منذ بداية الثَّورة. قيل لهم إنَّكُم تخلقون عدواً لكم لا يمكن احتماله. قيل لهم ستخرجون المارد من القمقم. قيل لهم عليكم يومها أن تتذكروا أنَّنا حذرناكم.

ولٰكن رفضوا أن يفهموا البداهات!!!

من لا يدرك هٰذه البداهات غبيٌّ معتوهٌ قولاً واحداً. وهٰذا توصيف لحكام الغرب وخاصة الأمريكيين. وأطالب بتحويلهم إلىٰ مصحَّات عقليَّة لأنَّهُم لا يجوز أن يكونوا أصحاب قرارٍ في مصير شعوب كبيرةٍ عريقةٍ محترمةٍ.

أيعقل أنَّهُم بهٰذا البله والغباء؟

أم أنَّهُم أرادوا ذٰلكَ؟

أرجح الاحتمال الأوَّل وأصرُّ علىٰ تحويلهم إلىٰ مصحات عقليَّة، لأنَّهُ إذا كان الاحتمال الثَّاني، أي إنَّهُم أرادوا تحريض السوريين أو المسلمين علىٰ التطرف، فإنَّهُم سيكونون مجرمين بحقِّ شعوبهم، وبحقِّ المسلمين، وتجب محاكمتهم محاكمةً علنيَّةً في لاهاي. فما معنى أنَّهُم أرادوا أن يخلقوا الجماعات المتطرفة التي يصفونها بالإرهابيَّة؟

أي ما معنى أنَّهُم أرادوا أن يخلقوا جماعات إرهابية؟ أليس في ذَلكَ ما يوجب محاكمتهم في لاهاي؟

لذَلك فإنَّ إحالتهم إلىٰ المصحات العقليَّة أفضل لهم.

ولٰكن، أليس في الشِّق الثَّاني من كلامه ما يدل علىٰ أنَّهُم أرادوا خلق الإرهاب؟ لقد قال: «لما كنا الآن في مواجهة هٰذا (الاختبار الرهيب) بَيْنَ الديكتاتور والجماعة الإرهابيَّة».

فماذا يعني بذَلكَ؟

نحن أمام أحد احتمالين لا أكثر:

الاحتمال الأول: أنَّهُم لم يريدوا الديكتاور وسكتوا فوصلوا إلىٰ (الاختيار الرهيب). وهٰذا يدلُّ علىٰ أنَّهُم أغبياء بلهاء لا يصلحون لقيادة دولهم، بل بالأكثر هم لا يصلحون لقيادة (عربة هوت دوچ)، لأنَّهُم لم يستطيعوا إدراك بداهات أدركها الصغار منذ بداية الثورة السورية. ولذَلك لا يجوز أن يؤتمنوا علىٰ مصالح بلادهم وشعوبهم.

الاحتمال الثاني أنَّهُم أرادوا الديكتاتور ولذَلك سكتوا. وهٰذا أيضاً يدلُّ علىٰ أنَّهُم أغبياء بلهاء من دون شكٍّ. لأنَّهُم لم يدركوا حركة التاريخ، ولم يحسنوا توقُّع أشياء لا أحد لا يتوقعها، وخاصة مع: تتالي الثَّورة السُّوريَّة، وتصاعد وحشية النظام، وتعاظم الصَّمت الدولي. أن يريدوا الديكتاتور أن يبقى فهذا وصمة عار عليهم أمام شعوبهم علىٰ أقل تقديرٍ، وجعل الشَّعب السُّوري والشُّعوب الأُخْرَىٰ تحقد عليهم وتكرههم وتنظر إليهم علىٰ أنَّهُم أعداء...ورُبَّما يجعلونهم يدفعون الثمن لاحقاً.

فأين الحكمة في ذَلكَ؟ هو بعيد عن الحكمة بالتأكيد، ولٰكن إذا أخذنا المعطيات الأُخْرَىٰ بعين النظر سنجد أنَّهُم أغبياء بلهاء بامتيازٍ.

في الاحتمالين كليهما قادة الغرب هم الذين صنعوا التَّطرف عند فئةٍ كبيرةٍ من المسلمين. الإسلام ليس فيه تطرُّف، ولٰكن فيه أناسٌ لديهم مشاعر مثل كلِّ البَشَر، لا يستطيعون السكوت علىٰ الظلم. والقانون الفيزيائي يقول: لكلِّ فعلٍ ردَّة فعل مساوية له بالقوَّة معاكسة له في الاتجاه. هل يوجد أحد لا يدرك هٰذه البداهة؟

أنتم قمتم بالفعل، وعليكم ستعود ردَّةُ الفعل.

يعني ذٰلكَ أنَّكُم في الخطوة الغبيَّة الجديدة التي تقدمون عليها في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة ستزيدونَ التَّطرف، وتزيدون في أعداد المتطرفين، وستزيدون في ردَّةَ الفعل. الحقيقة التي يجب أن تدركوها هي أنَّكم تشبهون ذاك الذي إذا رأى البلدوزر يهجم عليه يلقي نفسه تحت عجلاته دفاعاً عن نفسه. وهٰذه في الحقيقة هي سياسة أمريكا والغرب تجاه العالم الإسلامي منذ عشرات السِّنين.

فكِّروا جيِّداً إذا كنتم تستطيعون التفكير. نصيحة لكم، هيچل ابنكم، فاقرأوه جيداً.

براعة لغرب في صناعة الأعداء[١٥]

أمريكا والغرب ليسوا مستعدين للتَّضحية بجنديٍّ واحدٍ في المعركة ضدَّ الدَّولة الإسلاميَّة، ولذٰلك فهم يعوِّلون علىٰ المسلمين كي يقضوا علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة. ودول العالم الإسلامي في حقيقة الأمر مستمية للمشاركة في معركة القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة.

ولٰكنَّ الدول العربيَّة تحديداً أبدت مخاوفها من تراجع أوباما عن عزيمته كما تراجع منذ سنة عن ضرب النِّظام السوري. وطالبت أوباما وأمريكا بتقديم

(١٥) . بهٰذا العنوان ذاته كتب هٰذا المقال ونشر في مواقع التواصل الاجتماعي بتاريخ في ٥/٩/ ٢٠١٤م.

ضمانات أكيدةٍ بعدم تراجع أوباما عن ضرب داعش حَتَّىٰ تشارك في هٰذه المعركة المصيريَّة التي تتشوق لها. وقالت سرًّا وعلناً بأنَّها ترغب بشدَّةٍ في المشاركة بجنودها لأنَّ الغرب لن يحارب بأيِّ جندي علىٰ الأرض.

كما كان يفعل الفرس والروم في أيام زمان عندما يضربون القبائل العربيَّة ببعضها بعضاً ها هم الروم الجدد والفرس الجدد يضربون المسلمين ببعضهم بعضاً، العرب ببعضهم بعضاً، ويستمتعون بالفرجة. وفخار يكسر بعضه.

الطريف أنَّ أوباما قال: سنقضي علىٰ داعش كما قضينا على القاعدة.

الطَّريف في ذٰلكَ أمران :

الأول أنَّ أمريكا والغرب لم يقضوا علىٰ القاعدة، والقاعدة زادت وكبرت وامتدت أكثر، وكأنَّ أوباما لا يعلم ماذا يوجد علىٰ الأرض أو أنَّهُ يكذب علىٰ نفسه وعلىٰ المجتمع الدولي. وهٰذا يعني خطياً ومباشرة أنَّ داعش باقية وتتمدد كما يقول أنصارها.

الثاني إذا كانت أمريكا بقضها وقضيضها وسلاحها وجنودها لم تستطع أن تقضي علىٰ القاعدة ولا طالبان التي هي جزء صغير من القاعدة، فكيف ستقضي عليها عن بعد، أي من السَّماء فقط؟

هٰذا وهم بكلِّ تأكيد.

لا ليس وهماً. أمريكا والسِّياسة الغربيَّة تقول في نفسها إنَّ القضاء علىٰ داعش لا يكون إلا بيد حاضنتها الشَّعبية أي المسلمين أنفسهم، وكما أنَّهَا نجحت من خلال الصحوات في العراق بالقضاء علىٰ الدولة الإسلاميَّة فإنَّها ستستطيع ذٰلكَ علىٰ يد المسلمين من الصَّحوات السُّورية والعراقيَّة والجيش العراقي الشيعي والكردي...

هٰذا أيضاً وهم. لأنَّهُم يدَّعون أنَّهُم قضوا علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة بيد الصَّحوات، فإذا قضوا عليها فمن أين خرجت مارداً أقوى وأكبر مما كان بمئات المرات؟؟

أكرِّر هنا ما قلته سابقاً :قد يستطيع التَّحالف الدولي زلزلة الدَّولة الإسلاميَّة، القضاء علىٰ الخلافة كما فعلوا في أفغانستان. ولٰكنَّ الدَّولة الإسلامية باقيةٌ بفكرها بمنهجها بقوتها، ولن يكون تاريخ المنطقة القادم مثل تاريخها الماضي. ورُبَّما العالم كلُّه يشهد انعطافاً لم يكن في البال أبداً.

الغرب يصرُّ علىٰ ارتكاب الحماقات التي لا تصحح إلا بحماقات جديدة، ويقود المنطقة والعالم إلىٰ مصير لا يرغبه الكثيرون. الغرب هو الذي يستعدي الإسلام والمسلمين ويصنع بهٰذه الغباء متشدِّدين لا يمكن الحوار معهم، وكلَّما بردت الأمور قليلاً، وأمكن نوع من الحوار أو الهدنة يقوم ساسة الغرب بإشعال فتيل التَّشدُّد والتَّطرف من جديد. الغرب بارع في صناعة أعداء لا يمكن أن يستسلموا أبداً.

رُبَّما يكون قادة دول عربيَّة محدَّدَةٍ هم المحرضين للسِّياسة الغربية علىٰ هٰذا الطَّريق، أقول رُبَّما وليس بالضرورة، ولٰكن إذا كان الأمر كذٰلكَ فهل هم حمقى إلىٰ هٰذا الحد؟

لا أعرف لماذا دائماً أظن أنَّهُم حمقى.

روسيا وبعد سبعين سنة من فرض الإلحاد علىٰ الشَّعب، وتقديمه بأجمل المغريات، والترهيب من التَّدين بقبضة فولاذية... عادت خلال أيام إلىٰ مسيحيتها بنشاط وحيوية لا تصدق... بقيت بعض المظاهر والحالات كما في أي مجتمع، ولٰكن عادت بأيَّام إلىٰ مسيحيتها...

الخلافة الإسلاميَّة طموح أيِّ مسلمٍ وغايته، حَتَّىٰ من لم يكن متديناً. ونفور الناس اليوم من دولة الخلافة البغدادية ليس إلا بسبب الصُّورة التي قدمت لهم من الإعلام المعادي لها والمعادي للإسلام، بغضِّ النَّظر عن مدى صحتها...

يعني طال الزَّمان أم قصر، اجتمع العالم أم لم يجتمع، وافق العالم أم رفض، ستقوم دولة الخلافة شاء من شاء وأبى من أبى...

بل أقول كلما طال الزَّمان بها أكثر زاد تعطش الناس إليها أكثر، وكلما حاربها المجتمع الدولي أكثر ساهم في تعطش المسلمين إليها أكثر، وزاد في حدة تشددهم من أجلها أكثر.

هل يعي العالم لهذه البداهة؟

إنَّهَا بداهة بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى.

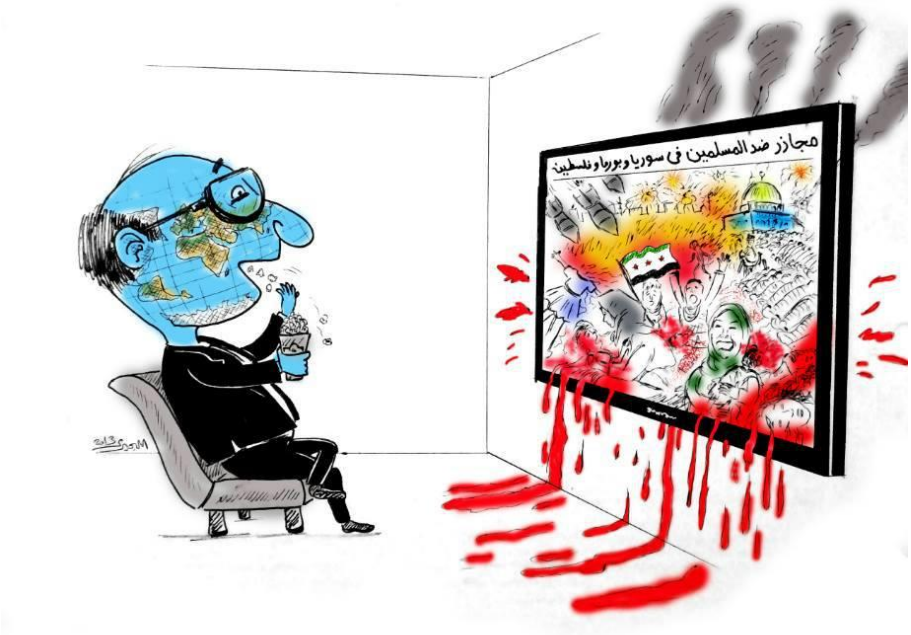

facebook/m.elbehiry.art

الفصل الرابع

ماذا جرى بباريس ولماذا؟

ما الذي حدث في فرنسا اليوم[١٦]؟

هل هو مقدِّمةٌ أم نتيجةٌ؟

وسائل الإعلام العربيَّة قبل الغربيَّة ترىٰ إلىٰ الحدث علىٰ أنَّهُ مقدمة، أي لتقول إنَّ الإسلام إرهابيٌّ، وأنَّ المسلمين إراهابيين بالضرورة... تسويغاً للحرب علىٰ الإسلام تحت مسميات وذرائع مختلفة، وتهيئة للرَّأي العام لتقبُّل أيِّ هجماتٍ أو سلوكات أو قرارات جديدة في محاربة العرب والمسلمين والمهاجرين تحت عنوان الحرب علىٰ الإرهاب.

(١٦) .كتب هٰذا المقال ونشر يوم الحدث في ٢٠١٥/١/٨م.

لا يريدون الاعتراف بالحقيقة الأساسية التي هي أنَّ هٰذا الفعل الذي وقع اليوم المتمثِّل بالاعتداء علىٰ صحيفة شارلي إيبدو الفرنسية ومقتل اثني عشر شخصاً، هو نتيجة وليس مقدمَّةً، مثلما هو شأن نشأة الجماعات الإسلامية المتطرفة؛ نشأتها نتيجة وليست هي المقدمة...

لم ينشأ هٰذا العنف الإسلامي لأنَّ السِّياسة الغربيَّة كانت سياسة ملائكيَّة، ولا لأنها سياسة حملان وديعة. لقد نشأت هٰذه التَّطرفية والعنفيَّة بسبب السِّياسات الغربية العدائيَّة ضدَّ الإسلام في كلِّ مكان. لا أريد العودة إلىٰ التاريخ، فقط لتراجع فرنسا سياستها ضدَّ المسلمين في السنتين السَّابقتين فقط؟ وكذٰلكَ لتفعل غيرها من الدُّول الغربية. ليراجعوا الازدواجيَّة المقزِّزة التي يمارسها الغرب في التعامل مع ما يسمَّى التَّطرُّف الإسلامي الذي لا يعادل واحداً بالمئة من تطرف ووحشية الآخرين ضدَّ الإسلام، ولا يرون شيئاً منه ولا يعلقون محض التَّعليق عليه.

وفوق ذٰلكَ كله لا بُدَّ من السُّؤال:

. لماذا لا تظهر أعمال العنف هٰذه إلا في الأوقات التي يحتاج الغرب فيها إلىٰ ما يدعم حربهم ضدَّ ما يسمُّونه التَّطرف الإسلامي؟

. لماذا لا تظهر مثل هٰذه الجرائم إلا في الأوقات التي يبدأ الإسلام فيها بالتَّمدُّد في أوروبا ويكون تآخي المسلمين مع الأوربيين آخذاً في التَّصاعد والنُّمو علىٰ نحوٍ إيجابي كبير؟

ـ والسُّؤال الأخطر أو الأهم من ذٰلكَ كله هو لماذا عندما يرتكب الأوروبي غير المسلم، أو حَتَّىٰ غير المسلم من أيِّ دين أو لا دين، جريمة كبرى تطوى ببرود ويتم تقييد الحدث ضد مجهول من دون أي تعليق،

ويقال إن مرتكب الجريمة (علىٰ شناعتها وعنصريتها) لا يمثل إلا نفسه، أو نه مختل لا تجوز محاسبته أو الوقوف عند فعلته، فعلته لا جريمته. بينما عندما يرتكب أي مسلم جريمة من أيِّ مستوى يثور العالم كله ويحمل الإسلام والمسلمين المسؤولية، وتتم مطاردة المسلمين في العالم ومحاربتهم ومحاصرتهم وإيذائهم... والأدهى من ذَلكَ يتهافت المسلمون زرافات زرافات لإدانة الفاعل حَتَّىٰ ولو كان يدافع عن نفسه، والدِّفاع عن الإسلام، والدِّفاع عن أنفسهم وكأنَّهُم متهمون بل مدانون بطبيعة الحال؟!! ويناشدون عدم تحميل المهاجرين مسؤولية الفعل لأنهم لا ذنب لهم...

عند هٰذا السؤال ظهر من يقول بأن النظام السوري وراء هٰذا الإرهاب، وبعضهم أكَّد ذَلكَ بأنه جاء بعد يومين من إعلان الرئيس الفرنسي فرانسوا أولاند ندمه علىٰ عدم استخدام القوة ضد النظام السوري.

لن أذهب في هٰذا المنحى، ولٰكن مما ما عاد يربكني ولا يحيرني أنَّ أنصار النِّظام السُّوري وتحديداً من السوريين لم يدينوا الهجوم علىٰ مقرِّ صحيفة شارلي إيبدو الفرنسيَّة بل أدانوا فرنسا لأنها استقبلت اللاجئين السوريين. قالوا: لأنهم استقبلوا السوريين كانت هٰذه هي النَّتيجة!!!

لن أعود إلى حملات الدَّعوة لطرد اللاجئين السوريين من أوروبا التي أعلنتها مواقع النِّظام منذ أشهر... ولٰكن لا أستطيع إلا أن أصرخ بوجههم:

ما أنتم قولوا؟

قولوا أي ربٍّ تعبدون؟

أيعقل أن تصل الأمور إلى هٰذا الحد؟

ألستم من يقول إنَّ العصابات المسلحة تشردهم وهي سبب خروجهم من سوريا؟

ألا يعني هٰذا وجوب تعاطفكم معهم؟

هٰذا تناقض قد لا يحتاج إلىٰ تفسير، ولٰكنَّهُ مع ذٰلكَ يستحق علامات الاستغراب كلها وكذٰلكَ علامات الاستهجان كلها والتعجب كلها.

هل المسألة متعلقة إذن باللاجئين السوريين؟ باللاجئين المسلمين؟ بالمسلمين؟

لا يمكن الفصل بينها جميعاً، وثَمَّة عوامل أُخْرَىٰ بدت في سابق الكلام. ولٰكن ونحن في هٰذا السياق، وحَتَّىٰ تكون الصُّورة واضحة أكثر. أنا لا أعتب، ولا يحقُّ لأحد أن يعتب علىٰ الدُّول الغربيَّة في إجراءاتها للحدِّ من تدفق المهاجرين... هي دولهم ومصالحهم بغضِّ النَّظر إن كانوا مصيبين أو مخطئين، إنسانيين أو غير إنسانيين... إنهم يقدرون مصالح دولهم وشعوبهم ويتصرفون علىٰ أساسها. ولٰكن لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن لا أتوجه بكلِّ أنواع اللوم والعتب والتقريع والتشنيع علىٰ كلِّ الدُّول العربيَّة في الدَّرجة الأولى، والدُّول الإسلاميَّة في الدَّرجة الثَّانية، وعلىٰ كلِّ من لا يشنُّ مثل هٰذه الحملة عليهم علىٰ كل ما يقومون به تجاه اللاجئين السوريين من تضييق وحصار ومنع عمل وتعقيد إجراءات الدخول والبقاء والخروج وغير ذٰلكَ كثير.

من قلب هٰذه العبثية العربية والإسلامية، من قلب هٰذه المفارقات العربية والإسلامية، أعود للحدث الفرنسي مستهدياً بالشجب العربي والإسلامي

العنيف والعنيف جدًّا ضدَّ ما حدث. كان ملفتاً الموضوع، بل كان مكرساً للحقيقة التاريخية التي نعيشها اليوم:

نحن شعب يسارع للنفاق للأعداء إذا هزَّ مشاعر الأوربيين أو الأمريكيين حدث تافه ولو كان مرض كلب أو إنفلونزة تصيب في حديقة حيواناتهم عنزة.

بل إننا شعب لا يجيد إلا تأييد الأعداء في عدوانهم علينا. تذكروا على سبيل المثال كيف يتسابق كثير من أعلام وإعلام فلسطين والعرب في إدانة دهس إسرائيلي بسيارة فلسطيني ولو خطأ... وتنربط ألسنتهم وأفكارهم وعقولهم أمام كل مجازر إسرائيل بحق الفلسطينيين.

أنا فرداً أعلن باسمي شخصياً أنَّني أدين كلَّ التَّدخلات الغربيَّة في المنطقة العربية. وأعلن أنَّ هٰذه التَّدخلات التي تستهدف الإسلام والمسلمين بصورةٍ واضحةٍ هي التي تقود إلى ردود أفعال عنيفة، وهي التي تولِّد التَّطرف في نفوس العرب والمسلمين، وقد شاهدنا في الواقع الكثير من الأمثلة التي تؤكِّد هٰذه الحقيقة؛ حقيقة أن أشخاص متوازنين تحولوا إلىٰ التطرف بسبب ممارسات الغرب الازدواجية الفاقعة الصارخة ضد المسلمين وحقوق المسلمين، وغض النظر عن كل الاعتداءات التي تمارس ضد الإسلام والمسلمين من مختلف انتماءات الأرض الدينية واللادينية.

الفصل الخامس

إعدام الشاهد

لماذا يترك المسلمون هوياتهم بمكان الجريمة؟[١٧]

يا أخي، المسلمون يضحكون الحزين وهو يتواثب بَيْنَ فوهات البراكين، يضحكون من تحصَّن ضدَّ الضَّحك كلَّ أنواع التَّحصين.

يعني مثلاً، الواحد منهم يرتكب الجريمة في أوروبا أو أمريكا ويترك هويته أو جواز سفره في مكان الجريمة بالضَّبط... يعني تقريباً هو يضع هويته أو جواز سفر فوق رأس الضَّحية حَتَّىٰ لا تتعب الشَّرطة بالبحث. المتهم بجريمة صحيفة شارلي إيبدو شريف كواشي وشقيه سعيد سرقا سيارة حَتَّىٰ ينفِّذا العمليَّة، وما إن

(١٧) .كتب لهذا المقال ونشر في ٢٠١٥/١/٨م.

ركبا في السِّيارة المسروقة حَتَّىٰ أخرج شريف هويته ووضعها علىٰ (تابلو) السَّيارة كي يتركها للشَّرطة، كي لا تتعب الشَّرطة في البحث عنه!!!

هٰذا علىٰ الرَّغْمِ من أنَّهُما ركبا بالسِّيارة وهربا بها ولا أحد يدري أين السَّيارة حَتَّىٰ الآن!!! طبعاً علمنا بعد يوم أنَّ السَّيارة تم تحطيمها. فكيف شاهدت الشَّرطة الهويَّة في السَّيارة والسَّيارة غير موجودة؟

سحر، موهبة إلهيَّة، شيء يفوق حدود الخيال!!!

أنا أفهم أنَّهُ تَمَّ اكتشاف الجناة بسهولة، وسرعة... ولٰكن ليس بهٰذه الطَّريقة السَّخيفة التي تتكرر فيها سذاجة المسلمين تكراراً فجًّا إلىٰ حدٍّ يصدِّع الرَّأس. دائما المجرم المسلم يترك هويته فوق رأس الضحية، وأحياناً بل غالباً بطريقة ساذجة سذاجة غير طبيعيَّة. هل المقصود من ذٰلكَ تصوير المسلم بهٰذه السذاجة والسطحية التي لا يمكن قبولها؟ أم أن الأمر قطع سلفاً علىٰ طريق أي تفكير في توجيه التُّهمة إلىٰ أحد غير المسلمين؟

ليس هٰذا فحسب، بل الأمر يتجاوز السَّذاجة والتَّسطيح بطريقةٍ تفجِّر الرأس في أحداث الحادي عشر من أيلول، ففي ذٰلكَ اليوم صدمت الطَّائرة بالبناء، احترق الحجر والإسمنت وذاب الحديد... ولم يبق من الطائرة قطعةٌ أكبر من ربع سم بسبب انفجارها واحتراقها... ومع ذٰلكَ صمد جواز سفر المجرم السُّعودي الذي نفَّذ العمليَّة!!!

سبحان الله، حَتَّىٰ عندما نسي المجرم المسلم أن يترك هُويَّته في مكان الجريمة أبت هويته بل جواز سفره أن يخذل سذاجته التي يجب أن تكون حاضرة في الذَّاكرة الشَّعبية العالميَّة، وانتصب جواز السَّفر شامخاً في مكان الجريمة من تلقاء

ذاته!!! احترق كل شيء حَتَّىٰ الحديد وبقي جواز السَّفر ليرشد إلىٰ المجرم!!! ولم يجدوا أيَّ جواز سفر آخر!!!

أچاثا كريستي بعبقريتها في الخيال البولسي ما خطر ببالها مثل هٰذه التركيبة، ولا شارلوك هولمز ولا أي محترف خيال بوليسي سيريالي استطاع الوصول إلىٰ مثل هٰذه التركيبة.

حسناً، إذن لدينا هوَّية المجرم الذي ارتكب الجريمة في مقرَّ الصَّحيفة الفرنسية وقتل الإعلاميين. هي دليل، سأعود إليه لاحقاً. هٰذه الهوية اكتشفتها الشرطة في السَّيارة التي جاء بها الأخوان كواشي وذهبا بها، وتم اكتشاف الهوية قبل معرفة أنَّ السَّيارة تمَّ التَّخلص منها!!! سنكسر بصلة علىٰ أنفنا، علىٰ رغم ما فينا من حساسية من البصل، ونقبل بذٰلكَ دليلاً. وسنضيف إليه دليلاً سرياليًّا آخر هو المكالمة الهاتفية واعترف بها الأخوان كواشي من دون أي تعذيب أو ضغط أو إكراه بأنَّهُما ينتميان إلىٰ القاعدة وأن القاعدة مولتهما.

الهاتف غريبٌ، وغريبٌ ما فيه، اتصل مراسل محطة تلفزيونية بشريف كواشي أحد منفِّذيِّ العمليَّة، بدأت المكالمة باعتراف مباشر واضح صريح من دون أيِّ إكراه كما أشرت، قال:

شريف كواشي: أنا كواشي، أدافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا كواشي مبعوث من تنظيم القاعدة في اليمن...

الصحافي: نعم، نعم...

كواشي: وقد سافرت إلىٰ هناك، وإنَّ الشَّيخ أنور العولقي رحمه الله هو الذي موَّلني...

الصحافي: منذ متى كان ذٰلكَ؟

كواشي: منذ مدَّة طويلة قبل أن يقتل العولقي.

الصحافي: أجل، إذن أنت عدت إلىٰ فرنسا في الآونة الأخيرة؟

كواشي: لا، منذ مدَّةٍ طويلةٍ، إلا أنَّني عرفت كيف أرتب الأمور.

الصحافي: الآن أنتما وحيدان أنت وشقيقك؟ أم معكما شخصٌ آخر؟

كواشي: هٰذا لا يهمك في شيء.

الصحافي: هل هناك جهات تقف وراءكما أم لا؟

كواشي: هٰذا لا يهمك في شيء.

الصحافي: وهل تعتزمان القتل باسم الله مرة أُخْرَىٰ أم لا؟

كواشي: قتل من؟

الصحافي: لآ أدري، هٰذا السُّؤال أنا أوجهه إليك.

كواشي: هل قتلنا مدنيين أبرياء؟!

الصحافي: قتلتم صحافيين.

كواشي: هل قتلنا مدنيين لم يعادوننا في شيء؟ انتهى الكلام، وداعاً، وداعاً...

الصحافي: انتظر يا شريف، انتظر. هل قتلتم أحداً صباح اليوم؟

كواشي: نحن لسنا قتلة، نحن ندافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... نحن لا نقتل الأطفال، ولا نقتل النساء، نحن لسنا مثلكم. أنت من يقتل الأطفال والنِّساء في سوريا والعراق وأفغانستان، وهٰذا ليس من شيمنا، نحن لدينا ميثاق شرف، وميثاق شرفنا هو الإسلام.

الصحافي: ولٰكنَّكما انتقمتما علىٰ أيِّ حال.

كواشي: نعم، نعم، انتقمنا، لقد قلتها أنت بنفسك... انتقمنا، انتقمنا.

وتنهي المكالمة مع رُبَّما الشكر المتبادل. ويتم قتلهما بعد ذَلكَ!!!!

طبعاً لم تعرض وسائل الإعلام الغربية كل المكالمة ولا تجرؤ علىٰ عرضها كلها. عرضت فقط قوله: أنا كواشي، مكلف من القاعدة باليمن، ومولني أنور العولقي...

المكالمة غريبة غرابة لا حدود لها لأنه لم يسبق في تاريخ المطاردات البوليسية مثل هٰذه المكالمة لمحاصر أو ملاحق يدلي باعترافاته بكل سلاسة قبل اعتقاله وقبل أي مفاوضات. ويزداد الأمر غرابة بمكالمة مماثلة مع أحمد الذي قام باحتجاز رهائن في أحد متاجر مونبليه أيضاً من دون ضغط أو إكراه، وهو يختطف الرهائن قال بأنه نفذ العملية بالتعاون مع شريف وسعيد الكواشي وأنه تلقى تعليماته من الدولة الإسلامية!!!

يعني، مع هٰذه الصُّورة نحن أمام فيلم سينمائي ومخرج يجلس علىٰ الكونترول ويتحادث مع فريق العمل بأريحية. أن تكون المكالمة السابقة قد نجحت فمصادفة عجيبة، ولٰكن أن تنجح المكالمتان معاً فذٰلكَ إنجاز غير مسبوق للسُّلطة الرَّابعة صاحبة الجلالة الصحافة.

ومع ذٰلكَ حَتَّىٰ يكتمل الهزل في الموضوع: أحمد الذي يعمل بأمرة شريف، تلقى تعليماته من الدَّولة الإسلاميَّة، بينما شريف يعمل بأمرة القاعدة باليمن، القاعدة باليمن تعلن عدم معرفتها بشيء... وبَيْنَ القاعدة والدَّولة الإسلاميَّة ما صنع النَّجار!! وحلوا إذا انحلَّت معكم!!!

حسناً، هم يقولون هٰذه أدلة. وهي أدلة قاطعة لا يمكن دحضها حسبما تبدو. ولٰكن لماذا تم قتلهم في حين كان يمكن اعتقالهم؟

من بداهات الأمن الجنائي أنَّ إعدام الشَّاهد الوحيد أو تغييبه بأيِّ طريقةٍ يوحي بالضَّرورة بوجود ما يراد إخفاؤه في التَّحقيق، ومن ثمَّ فإنَّ الذي يقوم بقتل الشَّاهد أو إخفاؤه هو المدان بالرَّغبة في إخفاء حقائق يتوقع أن يفضحها التَّحقيق.

تناقض الروايات حول مقتل منفِّذي الجريمة الباريسيَّة يوحي بأنَّ السِّياسة الفرنسيَّة لم ترد اعتقال المتهمين والتَّحقيق معهم. ويؤكِّد ذلكَ أنَّ الطَّريقة ذاتها تمَّ تنفيذها مع أحمد الذي اختطف عدداً من رهائن في أحد متاجر مونبلييه. وكانت الذريعة مع الأخوين كواشي أنهما طلبا الشهادة، ومع أحمد أنَّ الدَّولة الفرنسيَّة لا تريد التَّفاوض مع إرهابيين!!!

الذي يدحض زعم أنَّهُما طلبا الشَّهادة وأنَّهُ لا مجال للتَّفاوض هو المكالمة ذاتها مع الطَّرفين. فالصَّوت والاعتراف بهٰذه الانسيابية يدل علىٰ قابليَّة التَّفاوض، والرغبة في التَّفاوض... ورُبَّما يوحي بأشياء أُخْرَىٰ تشبه المسرحية بوجه من الوجوه، واللعبة انتهت. أرجو العودة إلىٰ المكالمة بهدوء واستكناه ما فيها من دلالات.

أيُّ مواطنٍ يتساءل ببراءة، والفرنسيون علىٰ نحو الخصوص يجب أن يتساءلوا بإلحاح: لماذا لم يتم القبض عليهم وفضح من يقف وراءهم وأمامهم؟ ومن حرَّضهم؟ وإلىٰ من ينتمون؟ وهل هناك مخطَّطات أُخْرَىٰ؟ وغير ذلكَ مما يهم المواطن الفرنسي ويهم أي شعوب الأرض كلها التي تعاني الإرهاب الإسلامي الذي لا يهدد البشرية فقط أكثر من البشرية كما قال المندوب الأمريكي في مجلس الأمن في ٢٠١٤/١١/١٩م، إذا قال حرفيًّا: «إن داعش لا تهدد الأمن العالمي فقط!!!!». أفلا يحق لسكان الكرة الأرضية بعد مثل هٰذا التصريح أن يتوثقوا من طبيعة وحقائق هٰؤلاء؟!

من عندي أنا لا أشك في أنَّ هناك ما لا تريد الاستخبارت الفرنسية الكشف عنه فيما تمَّ اعتقالهم. ولا أظن إلا أنَّ عشرات المختصين سيقفون عند هٰذه الحقيقة.

كان من الممكن إذن اعتقالهم، كان من الممكن التفاوض معهم، ولٰكنَّ الشرطة الفرنسية اتخذت قرارها بقتل الجميع في مكانين في وقت واحد... في وقت واحد!!!

لسنا بحاجة إلىٰ أي دليل بعد ما سبق لتأكيد هٰذه الشكوك. ومع ذٰلكَ المصادفات العجيبة هي التي تفجر مفاجآت لم تكن في الحسبان.

بعد إعلان الشرطة أن المتهم شريف نسي هويته في السيارة تبين لنا أنَّ السَّيارة ذهبت مع شريف وسعيد ولم تبق في مكانها، ولم يعرف مكانها إلا بعد إعلان الشرطة عن نسيان الهوية في السِّيارة!!! فيا يا للعجب!!!

لا يتوقف الأمر. صحفية نجت من الموت استضافتها القناة الفرنسية الثانية فجرت مفاجأة لم تكن في الحسبان. قالت هٰذه الصحافية: «إنَّ أحد منفِّذي الجريمة كانت عيناه زرقاوان». وهٰذا ما يتناقض تناقضاً تامًّا مع صور الأخوين كواشي المدانين بالحادث، المقتولين علىٰ ذمته، فليس أيٌّ منهما ممن تنطبق عليه هٰذه المواصفات. فيا يا للعجب!!!

نقطة لم يتوقف أحد عندها وهي أنَّ أنور العولقي هو الذي موَّل شريف علىٰ حدِّ اعترافه في المكالمة الهاتفية. انتبه لها الصحافي من طريقة أسئلته، وهي أنَّ العولقي تَمَّ قتله في ٢٠١١/٩/٣٠م، أي منذ أكثر من ثلاث سنوات... فلماذا كان الانتظار ثلاث سنوات؟

هٰذا وحده يثير عشرات التساؤلات:

هل صحافيو شارلي إيبدو هم الهدف منذ ثلاث سنوات؟ إذا كان كذٰلكَ فلماذا كان كل هٰذا الانتظار، الذي يأتي بالمصادفة في الوقت المناسب من

الحرب علىٰ الإسلام وتجييش الرأي العام العالمي في الحرب ضدَّ الدَّولة الإسلاميَّة تحديداً، وما تحت هٰذه الحرب من مشاريع في المنطقة العربيَّة؟!

أم أنَّ العولقي موله من أجل أي هدف فرنسي؟ وإذا كان كذٰلكَ فلماذا الصبر أيضاً كل هٰذه السَّنوات طالما أنَّ أي هدف ممكن؟ ولماذا كذٰلكَ جاء في الوقت المناسب للسياسة الغربية آنفة الذكر؟

لا أريد الإطالة في ذٰلكَ، ولٰكنَّها مسألة خطيرة تستحق الوقوف عندها. أنا لا أبرئ المتهمين، ولا أزعم أنهما لم يقوما بالعملية. ولٰكن مع ذٰلكَ لا أستطيع أن لا آخذ هٰذه المعطيات مع بعضها بعين النظر. منها أيضاً فيديو يشرح الخداع في العلمية، ويؤكد وجود الشرطة الفرنسية بالألبسة الواقية من الرصاص علىٰ سطح المبنى في أثناء التنفيذ، مع حركات إخراجيَّة. وَعَرَضَ كذٰلكَ عرضاً مقرباً للشرطي الذي تَمَّ قتله، إطلق عليه الرَّصاص أول مرة ولم يخرج منه دم، وأطلق الرصاص علىٰ رأسه عن بعد ثلاثين سم ولم تخرج نقطة دم!!!

كل هٰذه الملابسات تثير التَّساؤلات والشكوك. لا يمكن أن تمر مروراً عابراً. بعضهم وصفها بأنها حادي عشر من أيلول أوروبي. نعم هي كذٰلكَ تماماً. ولٰكنَّ لمن عرف وفهم كيف كان الحادي عشر من أيلول الأمريكي.

علىٰ هامش مخاوف المسلمين المتباينة أجدني مضطراً للتعليق بهٰذه الأعجوبة. أعجوبة أنَّ المسلمين أبعد ما يكون عن إسلامهم، وأكثرهم باعه بقشرة بصلة... ومع ذٰلكَ يلهثون هم أنفسهم لجعل الأوروبيين يعتنقون الإسلام، ويحتفلون كلما أسلم واحدٌ فيما هم لا يقربون الصلاة ولا الإسلام إلا بالاسم!!!

الفصل السادس

الغرب يصب الزيت على النار

أمريكا لسان الشيطان[١٨]. بدل لسان الشيطان يمكن وصفها بالمثل الشَّهير في بلاد الشَّام: «مُحْرَاكُ جَهَنَّم».

الأسباب كثيرةٌ وكثيرةٌ جدًّا. أقف عند مشهد اليوم ٢٠١٥/١/١٠م.

أعلنت الإدارة الأمريكية عن توقعاتها بشن المزيد من الهجمات الإرهابيَّة ضدَّ المصالح الغربيَّة. الهمجمات الإرهابيَّة هي التي سيقوم بها الإرهابيون، أو المتطرفون، أو المتشددون، أو المجرمون... وكلهم مسلمون للمصادفة. لا يوجد غير المسلمين يشنُّون هجماتٍ إرهابيَّة وإجراميَّة، ليس علىٰ المصالح الغربيَّة فقط

(١٨) .كتب لهذا المقال ونشر في ٢٠١٥/١/١٠م.

بل حَتَّىٰ علىٰ المصالح الإسلاميَّة، المسلمون يحاربون كلَّ شيء، غير متصالحين مع أحد ولا حَتَّىٰ مع أنفسهم... والغرب مسكين، مثل اليتيم مكسور الخاطر لا حول له ولا قوة.

أمريكا محراك جهنَّم لأنَّ مثل هٰذا التَّصريح أو التحذير ليس مصادفة أولاً، وليس أول مرَّةٍ ثانياً.

في حين أنَّ الشَّارع الغربي يغلي بتحريضٍ إعلاميٍّ مدروسٍ وممنهج يأتي الأمريكان لصبِّ الزَّيت علىٰ النار وتأجيج الحقد الغربي ضدَّ المسلمين.

وليست هٰذه هي المرَّة الأولى فالمتابعون يعلمون أنَّ الولايات المتحدة كلَّ ثلاثة أشهر، أربعة أشهر، ستة أشهر علىٰ الأكثر تطلق هٰذا التَّحذير من أنَّ المصالح الغربية معرضة لهجمات إرهابيَّة إسلاميَّة.

السؤال الذي ينبثق هنا: هل هٰذه التحذيرات بناء علىٰ معلومات أم بناء علىٰ توقعات؟

إذا كانت مبنية علىٰ معلومات فإني أميل إلىٰ اشتراك الولايات المتحدة ومعها من معها في هٰذه الهجمات والدليل منطقيٌّ محض. فطالما أنَّ هناك معلومات فهٰذا أدعى للمتابعة السرية لإحباط المخططات وملاحقة المخططين، وليس إثارة الهلع الهستيري في الشارع الغربي بما يؤدي إلىٰ تأمين مناخ رعب وفوضى مناسب لتنفيذ هٰذه العمليات الإرهابيَّة.

أما إذا كانت مبنية علىٰ توقعات فالتوقعات مبنية علىٰ أسباب وليست نبوءات أنبياء أو أدعياء نبوة. عندما تتوقع أن يعتدي عليك

أحد فأنت تعرف أن هناك سبب إما من ناحيتك أو من ناحيته. أي إما أنك أنت اعتديت عليه نوعاً من الاعتداء يقتضي أن تتوقع أن يرد عليك، أو أنَّهُ يريد أن يعتدي عليك وسيعتدي عليك لسبب أيضاً ولا يمكن أن يعتدي عليك من دون سبب.

لا أحد يعتدي علىٰ أحد من دون سبب إلا إذا كان مجنوناً أو مختلاً عقليًّا. المختل عقليًّا فرد ولا يمكن أن يكون أمَّةً، ولا مجتمعاً. فكيف إذن تحاربون الإسلام كله وتحشرونه الإدانة بأنه إرهابيٌّ بسبب مختلٍّ أو مجنون ينتمي إليه؟

ولٰكن ماذا لو كان هناك سبب؟

إذن يجب أن نفكر في السَّبب ونعرف كيف نتعامل معه ونحله لا أن نصعده ونقفز فوقه. سأفترض هنا جدلاً وكذباً أنَّ الغرب برئ ولم يفعل شيئاً، وأن المسلمون يريدون الاعتداء عليهم تجنيًّا؟ هل فكر الغرب في النظر المنطقي في أسباب هٰذه الروح العدوانية التي تدفع المسلمين الاعتداء علىٰ الغرب؟

خرج علينا السي سي بأن الإسلام بطبيعته يعادي كل الشعوب. وسارت معه قوافل من المطبلين والمزرين نافخين في قربة هٰذا الادعاء. هو ادعاء باطل لا أساس له من الصحة. والإسلام لا يختلف عن أي من الأديان الأُخْرَىٰ في ذٰلكَ علىٰ الإطلاق. انظروا اليوم وفي الماضي في ممارسات كل الأديان واحكموا بعدل أيها الأكثر دموية ووحشية وعداء للآخرين. لا يوجد أسرار علىٰ الإطلاق، بل علىٰ كل ما هنالك من أسرار نجد أن الإسلام في أسوأ الاحتمالات يقف مع الجميع في صف

أو مستوى واحد. ولهذا أيضاً تجني على الإسلام ومبالغة. إن كل ما يصور من وحشية الجماعات الإسلامية اليوم لا يساوي واحد بالمئة ألف من وحشية الآخرين بحقِّ المسلمين في بورما، في أفريقيا الوسطى، في سوريا، في العراق، في إيران... ومع كل هذا الوضوح في الحقائق التي نراها اليوم بأعيننا فإن الجوقة الإعلامية العالمية تصور الحقيقة بالمقلوب، تجعل الجاني هو الضَّحيَّة، والضَّحيَّة هو الجاني، الإنساني هو المتوحش، والمتوحش هو الإنساني!!!

ردود الأفعال على حادثة شارلي عبدو غمَّست خارج الصَّحن فريق راح يدافع عن الجريدة، وفريق راح يدافع عن الدَّولة الفرنسية، وفريق راح يدافع عن الجريمة...

لم يدرك جميع هؤلاء أن المشكلة في الجريمة ذاتها وإنَّما المشكلة في تسويقها وتصديرها وتسليط الأضواء عليها... مسلم ارتكب جريمة، الإسلام ارتكب جريمة، في حين أنَّها جريمةٌ ارتكبها شخصان دفاعاً عن شخص بجبانه، ومع ذلكَ اعتبروا أن الإسلام هو المسؤول، وأن المسلمين كلهم مجرمين... على رغم عبارات التلطيف التي ظهرت بعد أيام. ألم يحدث أن مئات قتلوا أشخاصاً كثيرين من أجل فتاة أو كلب أو قطعة أرض... لماذا يعممون أحكامها، لماذا فقط المسلم إذا قتل يتهم الإسلام والمسلمين كله؟

ذكرنا أنَّ مسيحيين ارتكبوا بشكل منظَّمٍ جرائم أكبر بكثيرٍ باسم المسيحية (أفريقيا الوسطى مثالاً) ولم يعلق أحدٌ على ذلكَ، ولم ير أحدٌ ذلكَ جريمةً.

بوذيون ارتكبوا باسم البوذية جرائم بشكل منظم في مينمار ومع ذَلكَ لم ير أحد ذَلكَ جريمةً...

لماذا فقط المسلم إذا فعل أي فعل شيء مهما كان صغيراً يشنون الحرب علىٰ الإسلام والمسلمين؟ وعوداً علىٰ شارلي عبدو، وعلى فرض أنَّ هٰذين المسلمين ارتكبا الجريمة باسم الإسلام، والإسلام أمر بذَلكَ فإنهما ارتكباها ضدَّ من أساء لمقدَّس إسلاميٍّ أي دفاعاً عن النَّفس والكرامة، أمَّا في مينمار وأفريقيا الوسطى فلم يفعل المسلمون شيئاً يعاقبون عليه أبداً حَتَّىٰ ترتكب بحقِّهم هٰذه الجرائم البشعة... حَتَّىٰ مع هٰذا الافتراض فالازدواجية فاقعةٌ أكثر من أن يمكن احتمالها.

الولايات المتحدة والغرب عامَّة وثبوا فوق الأسباب سواء أكانت خاطئة أو صائبة، علىٰ حق أو علىٰ باطل، وكرسوا في الضخ الإعلامي أنهم مستهدفون من المسلمين من دون سبب. هٰذا إذا افترضنا جدلاً وكذباً أن الغرب ملاك لم يفعل شيئاً للعالم العربي والإسلامي. فكيف إذا نظرنا إلىٰ تاريخ السِّياسة الغربيَّة ضدَّ العرب والمسلمين طلية القرن المنصرم وحَتَّىٰ الآن، ولا أعود إلىٰ الماضي الصَّليبي والإسباني وغيرهما؟!

ألا يرى الغرب ماذا فعل ويفعل، أم أنَّهُ لا يريد أن يرى، أم أنَّهُ لا يعترف بأنَّ جرائمه تدخل في باب الجرائم؟؟!

الحقيقة الأكيدة هي أنَّ الغرب لا يريد أبداً أي حوار مع الإسلام ولا بأي طريقة ولا تحت أيِّ سقف. ولذَلك ليس من الصَّعب التَّوجه بأصابع الاتهام في عملية صحيفة شارلي إيبدو إلىٰ الاستخبارات الغربية حَتَّىٰ مع تأكد الضُّلوع الكامل لسعيد وشريف الكواشي بهٰذه

العلميَّة. وليكن من باب المؤامرة التي لا يمكن أن ننكرها بحال من الأحوال.

تساءلت مع السَّاعات الأولى للحدث: لماذا لا تأتي هٰذه العلميات إلا في أوقات معينة ومدروسة بعناية شديدة يكون الغرب فيها مثلاً بحاجة إلىٰ تصعيد الحملة علىٰ الإسلام وتعزيز الفوبيا من الإسلام، أو لسبب آخر منه اليوم تصعيد التَّحشيد والتَّجييش ضد الدولة الإسلاميَّة، وكذٰلكَ لمواجهة المد الإسلامي الذي أخذ بالتزايد من جديد بعد فترة فتور؟

السياسة الغربية تسعى لتحقيق مصالحها. هٰذا حقها. وما لا بُدَّ من توضيحه في هٰذا السياق أنَّني أحترم سعيهم المخلص لمصالح أوطانهم وشعوبهم... وتكاتفهم ووحدتهم في مواجهة خصومهم وأعدائهم.

ولٰكنَّ هٰذا لا يمنع أن أرفض السِّياسات الغربيَّة تجاه بلادي وأمتي وأعاديها. وأضيف إلىٰ ذٰلكَ أنَّهُ علىٰ ساسة الغرب أن يدركوا جيدًّا أن الخيار الخاطئ لن يؤدِّي إلا إلىٰ نتيجة خاطئة. وقد أدركوا غير مرَّة كيف أن مواقفهم وسياساتهم تأتي بنتائج عكسيَّة. كلما أوغلوا في الخيارات الخاطئة جلبوا علىٰ أنفسهم نتائج أشدَّ خطورة ووضعهم أمام خيارات أكثر صعوبةً. راجعوا ابنكم هيچل من فضلكم.

الغرب هو المسؤول عن أي مقدمات ونتائج لأن الغرب هو سيد الموقف والقرار. الغرب هو القوي. والقوي هو الذي يملك الخيارات وليس الضعيف، الضعيف محكوم بخياراته، القوى أمام خيارات مفتوحة. ولذٰلك الغرب هو المسؤول عن المقدمات والنتائج فكلما كانت خياراته صحيحة أكثر وصل إلىٰ

نتائج أفضل، وكلما كانت خيارته رديئة وصل إلىٰ نتائج رديئة. وفي الحالين هو الذي سيحصد ما زرع.

يجب أنَّ نعلم جيِّداً أنَّ العرب والمسلمين يبرهنون أنهم منفتحون علىٰ الغرب في كلِّ مرَّة يتعرض الغرب فيها لمحنة. منفتحون إلىٰ أبعد الحدود تجاه الغرب، متعاطفون متفهمون أكثر من الغرب أنفسهم. ولٰكن حَتَّىٰ الآن لم أر السياسة الغربية مفتوحة ولو فتحةً صغيرة تجاه العرب والمسلمين.

في هٰذا السِّياق ذاته دعا الرئيس فرانسوا أولاند قبل أمس إلىٰ مظاهرة مليونية يوم الأحد القادم. علق العرب عليها بأنها لتفويضه بمكافحة الإرهاب المحتمل، كما فعل السيسي لارتكاب مجزرتي رابعة والنهضة. وسيخرج الملايين رُبَّما في فرنسا وأوروبا يتصدرهم معظم زعما العالم ومنهم الزعماء العرب.

يجب أن ندرك ونفهم أن الشَّعب الفرنسيَّ مفجوعٌ ومصدوم. ما تعرَّض له كارثةٌ بالمعايير كلها، وحدث مروِّع غير مسبوقٍ بطريقته وحجمه رُبَّما منذ الحرب العالمية الثانية. أمَّا لماذا لم يتعاطف العالم والفرنسيون منهم مع مليون قتيل في سوريا فهٰذا قرار سياسي وسياسة إعلامية تسطيحية مقصودة. أنا علىٰ ثقة لو أنَّ أيَّ شعبٍ أوروبيٍّ أثير تجاه ما يحدث في سوريا بالطريقة التي أثير فيها العالم لجريمة شارلي إيبدو لكانت المظاهرات بالملايين ورُبَّما قلبت الموازيين.

بيانات
الأزمة السورية

الفصل السابع

كيف يصنع الغرب التطرف؟

كيف يصنع الغرب التطرف الإسلامي[١٩]؟

سؤال لا يريد الغرب أن يسأله لنفسه ولا أن يفكر في إجابته.

في تقدير يستحقُّ التَّقدير نفَّذ النِّظام السُّوري منذ أوَّل الثورة حَتَّىٰ اليوم نحو ثلاثمئة ألف غارة جويَّة على الآراضي السُّورية... أي نحو ربع أو ثلث مليون غارةٍ جويَّةٍ. رقمٌ ليس لعباً. رقمٌ أسطوريٌّ، علىٰ أساسه أسأل سؤالاً فضوليًّا: كم عدد الغارات الجوية التي نفذتها كلُّ دول العالم في الحرب العالميَّة الثَّانية؟

(١٩) .كتب لهذا المقال ونشر في الفترة ذاتها ٢٠١٥/١/٢٧م.

لا أدري حقيقة إن كانت أقل أو أكثر. ولٰكنِّي أدري أن هٰذا الرقم من الغارات الجوية رقمٌ أسطوريٌّ بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى. أنا لا أترقب ولا أتمنى أيَّ تدخُّلٍ خارجيٍّ. ولٰكنِّي لا أستطيع إلا أن أبدي دهشتي من صمت المجتمع الدولي أمام هٰذا الرقم الأسطوري، ناهيكم عن غيره من ممارسات، وفي الوقت ذاته يرون خطأً صغيراً ترتكبه الثورة موازياً لجرائم النظام... يتحدثون بكل صفاقة عن عنف متبادل!!!

تحدثت كثيراً في ذٰلكَ، في الازدواجية الغربية التي تشيب الولدان الرضع. ولٰكنَّ هٰذه الازدواجية اليوم بلغت مداها وتجاوزت كل الموازين التي يمكن أن تخطر أو حَتَّىٰ لا تخطر في الخيال. وقد تحدثت في ذٰلكَ في عدد من المقالات سابقاً تبعاً للحدث.

اليوم نحن أمام حدث جديد.

كتبت أمس الاثنين ٢٠١٥/١/٢٦م أنَّ الأيزيديين اجتاحوا عشر قرى عربيَّة قرب ربيعة في العراق؛ قتلوا وذبحوا وأحرقوا البشر ونهبوا الأموال والأملاك وسبوا النساء(٢٠).

ماذ يرى المجتمع الدولي؟

ما تعليق المجتمع الدولي؟

ماذا سيفعل المجتمع الدولي؟

---

(٢٠) . بعد هٰذا المقال وحَتَّىٰ الآن فترة إعداد الكتاب للطباعة تكرر هٰذا تكرر عشرات المرات من الميليشيات الكردية في سوريا تحديداً، وتكرر عشرات المرات من ميليشيات الحشد الشعبي الشيعي في العراق بطريقة بشعة مقزز تقشعر لها الأبدان وتشيب لهولها الأطفال من ذبح وحرق وتقطيع... شيء لا يصدق حقيقة.

لا شيء. بعيداً عن اللف والدوران والضَّحك على الذات نرى بوضوح صارخ صاعق أنَّ أيَّ جريمةٍ بشعة ترتكب ضد المسلمين في العالم يقولون:

سيفتح تحقيق في الموضوع وسيعلن عن النتائج...

ويموت التحقيق وتموت النتائج أو يقال المجرمون مجانين، استثناء، الظروف فرضت ذَلكَ...

بينما أيُّ مسلم يرتكب جريمةً تشنُّ الهجمات على المسلمين في العالم ويبررون ذَلكَ بأن فورة دم مقبولة لا أحد يدينها أو يعترض عليها، ثُمَّ يلاحق المتهم بكلِّ وسائل الملاحقة حَتَّىٰ يتم قتله أو إلقاء القبض عليه.

فقط المسلم إذا ارتكب جريمة فهي جريمة منظمة والإسلام هو المسؤول. بينما أيُّ جريمة يرتكبها الآخرون بحقِّ المسلمين فالتبرير: نحن في حالة حرب وفي الحرب توجد تجاوزات يجب أن نستوعبها.

هٰكذا يدافعون عن الجرائم البشعة التي ارتكبها اليزيديون بحق القرى العربيَّة قبل أمس.

حسناً، سنقبل بهٰذا التبرير. ولٰكن لماذا لم تقولوا ذَلكَ عندما اجتاحت الدولة الإسلامية المناطق التي احتلها؟ لماذا لا تستخدمون هٰذه الفلسفة مع ما تفعله الدولة الإسلامية أو الثورة السورية؟

هٰذه ليست المرة الأولىٰ، ولا الوحيدة. هٰذه سيرة المجتمع الدولي منذ عشرات السنين. مقدمات واحدة، ونتائج واحدة. استنساخ طبق الأصل من دون أي تغيير.

وقاحة المجتمع الدولي أكبر وأشد من أن تحتمل. كنا نقول السياسة الغربيَّة، الآن نقول المجتمع الدولي. هٰذه الوقاحة تفوق حدود الخيال حقيقة. علىٰ مدار عشرات السنين الماضية ونحن أمام النسخة ذاتها من دون أي محاولة لتلميع صورتهم، أو لتحسين صورتهم، أو للضحك علىٰ المسلمين بحالة تمثيلية واحدة... ولو تمثيلاً.

يمكن أن نفهم اضطرارك للوقوف مع الباطل... ولٰكن لماذا تنط مثل القرد كلَّ ساعة وتزعق مثل البغل الذي عصي ذنبه في دولاب العربة التي يجرها وتقول لمن لم ير: تعال شاهدني وأنا أدافع عن الباطل؟؟؟؟

مضحك هو الغرب!!!

يمارس ازدواجيَّةً مفضوحةً ضدَّ الإسلام والمسلمين؛ ينصر أعجاءهم وقاتليهم، ويشارك في قتلهم، ويمنعهم من الدِّفاع عن نفسهم... وفوق ذٰلكَ يتهمهم بالإرهاب!!!

يمارس الغرب ضدَّ الإسلام والمسلمين كلَّ أنواع التَّطرف والسَّاديَّة والشُّذوذ والازدواجيَّة ويعترض علىٰ المسلمين إذا كان لهم أيُّ رد فعل ضدَّه، ويتهمهم بالإرهاب والوحشية إذا اعترضوا!!!

ماذا يتوقَّع الغرب بعد كلِّ ازدواجيَّته في التعامل مع الإسلام والمسلمين؟

هل يتوقع أن يقابلوه بالقبلات الحميميَّة أم بالقنابل الحامية؟

كيف لا تريدون من المسلمين أن يصلوا إلىٰ أقصى درجات التَّطرف؟

أنتم المسؤولون.

والذي يضع العقل في الكف أنَّهُ بعد كل هٰذا الوضوح نرى عرباً ومسلمين؛ علىٰ أساس مثقفين أو مفكرين أو أدباء أو سياسيين يرون أنَّ أفضل طريقة لإسقاط الأنظمة العربيَّة هي الطَّريقة العراقيَّة في استدعاء الأشقاء الأمريكيين لإسقاط صدام حسين واستلام الحكم من الأمريكيين. هي طريقة ما سمي تحرير كوباني من قبل البشمركة التي ساندتها جيوش وطيران ستين دولة بمئات الغارات يوميًّا علىٰ مدار أربعين يوماً حَتَّىٰ استطاعوا إخراج الدولة الإسلامية من عين العرب/ كوباني.

ما حدث في عين العرب هو ما حدث مع صديقي يوماً من الأيام الذي ظن أنَّهُ رفع الباص بيديه... أمضينا سنوات ونحن نحاول إقناعه بأنه ليس بطلاً، ولا عظيماً، وأنَّ الباص مال علىٰ شجرة عملاقة هي التي أعادته إلىٰ توازنه وليس جنابه بمعصميه المعصمصين... ولٰكنَّهُ لم يقتنع إلا أنَّهُ هو الذي حرر نفسه من الباص الذي وقع عليه.

هٰؤلاء المثقفون الذين يقرظون هٰذه التَّجربة ويشيدون بهٰذه الطريقة، أي يصدِّقون أنَّ صديقي رَفَعَ الباص بيديه، يصدقون أنَّهُ حرَّر نفسه من الباص برفعه بعضلاته الممصوصة، يدعون إلىٰ تعميمها والاستعانة بالأشقاء الأمريكيين لإسقاط الأنظمة العربيَّة...

حسناً يا باشاوات؛

هل تدركون أنَّ أمريكا ليست جمعيَّةً خيريَّةً؟

هل تدركون أنَّ أمريكا لا تضرب إلا أعداءها؟

هل تدركون أنَّهُ عندما يكون أعداء أمريكا هم أعداؤنا فنحن وأمريكا أشقاء؟

هل تدركون ما معنى أن نكون وأمريكا أشقاء؟

تباً لفهمكم كم أنتم تفهمون!!!

أحترم الشَّعب الأمريكي، ولٰكن لا يمكن أن تكون السِّياسة الأمريكيَّة مفيدة لوطني بحالٍ من الأحوال.

الفصل الثامن

كيف قتلت أمريكا الكساسبة؟

لا شكَّ في أنَّهُ كان حادثاً صادماً لهذا الذي تمَّ به إعدام الطَّيار الأردني معاذ الكساسبة(٢١).

حديث العالم اليوم ولأيَّام قادمةٍ هو طريقة إعدام معاذ. ومنذ الآن نحن أمام تشعبات كثيرة في الآراء والمواقف والتَّوقعات. بعيداً عن ذَلكَ كله، السُّؤال الذي لم يطرحه أحد:

من الذي قتل معاذ الكساسبة؟

الجواب هو الدَّولة الإسلاميَّة.

(٢١) .كتب هذا المقال ونشر في الفترة ذاتها ٢٠١٥/٢/٣م.

نعم هٰذا صحيح، الجواب صحيحٌ في صورته. ولٰكنَّ جوهر الحقيقة غير ذٰلكَ تماماً. الحقيقة هي أنَّ الولايات المتحدة تحديداً هي التي أعدمت معاذ، والأسير الياباني الثاني والأول، والصَّحافي الأمريكي الثاني والأول... الولايات المتحدة تحديداً هي القاتل الحقيقي لكلِّ هٰؤلاء بهٰذه الطريقة التي يجمع العالم علىٰ إدانتها، علىٰ أساس أنَّ القتل بالكيماوي أو الصَّواريخ جائز، أو محمودٌ.

الولايات المتحدة كونها قائدة المعسكر الغربي، وإمبراطورة العالم، هي المسؤول الأول والأخير عن سياسة الحلف، وهي أصلاً صاحبة الموقف الأخير للسياسة الغربيَّة، وحَتَّىٰ السياسة العالمية، وهي في ذٰلكَ كلِّه تمارس ازدواجيَّة صارخةً ضدَّ الإسلام والمسلمين في العالم، تمارس سياسةً مثيرة للحقد، مثيرةً للكره، مثيرة للتطرف، بل مثيرة للاشمئزاز إلىٰ أبعد الحدود، والأدلة علىٰ ذٰلكَ أكثر من واضحة بدءاً من فلسطين والمجازر الإسرائيلية علىٰ امتداد عشرات السنين الماضية، مروراً بأفغانستان، إلىٰ العراق، والسودان، والصومال، ومالي، وبورما، وأفريقيا الوسطى، وسوريا والعراق اليوم... التطرف الإسلامي الذي تشهده المنطقة والعالم نتيجة حتمية للسياسة الأمريكية.

حذَّرت من ذٰلكَ كثيراً منذ عشرات السنين، لست الوحيد الذي فعل ذٰلكَ، لا أحسب إلا أنَّ كلَّ المفكِّرين والسياسيين حذروا من مغبَّة هٰذا السُّلوك الأمريكي، إنَّهُ نتيجةٌ منطقيَّةٌ لا يمكن أن نتوقع غيرها، ولذٰلكَ ليس بدعاً من الخيال، ولا ضرباً من الإبداع أنني وكثيرين حذَّرنا من نتائج هٰذه السِّياسة الأمريكيَّة.

لماذا نحاكم النَّتيجة ولا نبحث في الأسباب؟

إن ما يفعله الإعلام العالمي في سياق محاكمة النتيجة والتغافل عن الأسباب ضرب من البلاهة والبلاهة فقط لأنه لا يؤدي إلىٰ مزيد من التصعيد ومزيد من التطرف، وتوسيع دائرة المواجهة إلىٰ ابعد مدى ممكن، وما حدث في شارلي إيبدو واحد من المؤشرات.

علىٰ أمريكا أن تعلم جيداً أنَّها إذا لم تعد النظر في سياستها الازداوجية التي تمارسها بوضوح يفقأ عين الجاحد فإنها هي المسؤول الأول والأخير عن كل الجرائم التي يرتكبها المتطرفون الإسلاميون أو غيرهم من الأديان الأُخْرَىٰ أو اللاأديان.

وعلىٰ أمريكا أن تعلم أن عدم تصحيح أخطائها ونتائج أخطائها بسبب هٰذه الازدواجية سيؤدي إلىٰ تصعيد التطرف أكثر وأكثر وأكثر. وستتسع دائرة المواجهة أكثر وأكثر وأكثر، وستكون فوضى عارمة تحرق الجميع.

إذا كانت الثورة السورية السبب الظاهر لظهور التطرف بهٰذه الطريقة الواسعة من المواجهة فإن هٰذا التطرف ليس وليد اليوم أبداً، إنها منذ اليأس من أن تبدل أمريكا سياستها الازدواجية والمعادية للعالم الإسلامي... منذ انهيار الاتحاد السوفيتي علىٰ الأقل.

لا أريد القول كما يقولون الإسلام دين التسامح والرحمة والتعاطف، أقول كما يقول الغربيون الحياديون: الإسلام دين مثل كل الأديان في التقدير العام. إذا استفز أهله تم استفزازهم لأنهم بشر مثل كل البشر، وكلما زاد استفزازهم زادت ردة فعلهم. هٰذه قوانين طبيعية في كل ميادين الحياة وليست بدعاً من الخيال ولا إضافة إلىٰ قوانين الطبيعة. فلماذا يدركونها في كل المجالات ولا يدركونها هنا؟ لماذا يفعلون الفعل ولا يعرفون نتيجته؟

أيعقل أنَّهُم لا يعرفون ذٰلكَ؟

إذا يفعلون ويعرفون رد الفعل فنحن أمام حماقة غير محدودة.

وإذا كانوا يفعلون الفعل ولا يقدرون ماذا سيؤدي إليه من رد فعل فنحن ايضاً أمام حماقة غير محدودة.

نحن لا نتحدث عن سلوك شخص غير مسؤول، ولا عن سلوك شخص عادي، ولا حَتَّىٰ عن سلوك شخصي، نتحدث عن سلوك دولة مؤسس علىٰ قواعد بيانات واستخبارات وعلماء من مختلف الاختصاصات، وفوق ذَلكَ كله ليست أي دولة من العالم السابع أو الخامس أو الثالث أو حَتَّىٰ الأول، نحن نتحدث عن الدولة الأولىٰ في العالم. أي إنَّ الجريمة الأمريكية مكتملة الأركان اكتمالاً غير مسبوق وغير منقوص أبداً.

ومع ذَلكَ كلِّه، نحن لا نطالب الولايات المتحدة أن تكون ملاكاً محضاً، ولا نطالبها بأن تدافع عن حقوق العرب أو المسلمين، ولا أن تفكر في غير مصالحها... حقها وواجبها أن تفكر في مصالحها ولو علىٰ حساب مصالح الآخرين، هٰذا حقٌّ لا ننكره. ولٰكن عليها إذا شاءت أن تحمي مصالحها أن لا تستعدي المسلمين بهٰذه الطريقة الغبية المليئة بالاستفزاز الجنوني.

أمريكا كما وصفها مفكرون أمريكيون وغربيون هي رأس الإرهاب والتطرف، وهي مصنع الإرهاب والتطرف... وإذا لم تدرك أمريكا هٰذه الحقيقة فستجر العالم إلىٰ ويلات لن يستطيع أحد السيطرة عليها... وما يحدث الآن إلا مشاهد تلميحية لما ستقبل عليه البشرية في الأيام القادمة.

الفصل التاسع

هل تريد أمريكا
حسم الحرب على الدولة الإسلامية

سؤال يطرحه الكثيرون ولٰكن بمقاصد غير مقلوبة وغير فاهمة: هل تريد أمريكا حسم الحرب ضدَّ الدَّولة الإسلاميَّة[٢٢]؟

هل الغرب عاجزٌ عن حسم المعركة مع الدَّولة الإسلاميَّة أم أنَّهُ لا يريد حسمها سريعاً؟ ولماذا هٰذه التناقضات في التصريحات التي تبدي تردداً غريباً في التعامل مع هٰذه المعركة؟

(٢٢) .كتب هٰذا المقال ونشر في الفترة ذاتها ٢٠١٥/٢/٦م.

لا أريد العودة إلىٰ الحديث في هرطقات أنَّها عميلة أو غير عميلة، صنع النظام أم صنع إيران أم صنع أمريكا أم صنع أمريكا والنظام وإيران، أم في أنَّها مخترقة أو غير مخترقة... فهٰذا حديث صار ممجوجاً أكثر مما يحتمل بكثير جدًّا. في الموضوع من التناقضات ما يكفي متوسط التفكير ليصل فيها إلىٰ أقرب ما يكون من الحقيقة إن لم يكن الحقيقة ذاتها.

أيًّا كان الأمر، مشكلتنا الأساسية في الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة وما تجر إليه من مشكلات مأساوية علىٰ المنطقة. مشكلتنا في بنية الحرب عليها والأهداف المعلقة علىٰ هٰذه الحرب، مهما كانت طبيعة الدَّولة الإسلاميَّة.

الأنظمة العربية مستعجلة جدًّا علىٰ سحق الدَّولة الإسلاميَّة والخلاص منها. وفي المقابل فإن الغرب وعلىٰ رأسه أمريكا يلعبون علىٰ الطويل الطويل وتصريحات محبطة للأنظمة العربية إلىٰ أبعد الحدود.

في السَّادس من شباط/ فبراير الحالي قال جون جينكز السَّفير البريطاني السَّابق في السعودية: «تحتاج الحرب علىٰ تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة إلىٰ خمس عشرة سنة».

فوجئت أنَّهُ تفاجئ الكثيرون بمن فيهم سياسيين مرموقين في الأنظمة العربية من هٰذا التصريح وصدموا به كأنَّهُم ألقي عليهم سطل ماء بارد في يوم صقيعيٍّ. وكأنهم لم يكونوا موجودين علىٰ سطح الكرة الأرضية طيلة الأشهر السَّابقة منذ بدء المعركة علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة التي كثرت فيها تصريحات الأمريكان قادة الحملة والتَّحالف بأنَّ الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة طويلة. أولهم أوباما الذي قال تحتاج إلىٰ ثلاث سنوات علىٰ الأقل، وفي مؤتمر جدة في بداية الحرب علىٰ الدَّولة أجمع المؤتمرون علىٰ أنَّها الحرب تحتاج إلىٰ عشر سنوات علىٰ

الأقل. ثمَّ وزير الخارجة الأمريكي الذي قال تحتاج إلىٰ أكثر من عشر سنوات، وعندما عرض خطته علىٰ الكونچرس استنتج الكونچرس أنَّها تحتاج إلىٰ أكثر من ثلاثين سنة.

هل حقًّا تحتاج المعركة مع تنظيم الدَّولة إلىٰ كلِّ هٰذا الوقت؟

الاتحاد السُّوفييتي علىٰ جلالة قدره وعظمته لم يستغرق ثلاثين سنة حَتَّىٰ تم إسقاطه. الاتحاد السُّوفييتي نشأ عقب الحرب العالميَّة الثانية وبدت نهايته في عام ١٩٨٧م، أي لم يستغرق ثلاثين سنة. فهل تنظيم الدَّولة الذي هو بتقديرهم نحو عشرين ألف مقاتل لا حول لهم ولا قوة شيء من مقدرات أي دولة تحاربهم من الدَّول الاثنتين والستين المتحالفة معاً ضدَّهم، وهي التي لم تجتمع علىٰ محاربة الاتحاد السُّوفييتي؟!

لا تستقيم التقديرات مع المنطق أبداً.

نحن نفهم طبيعة التنظيمات الجهادية، ونتفهم صعوبة القضاء عليها وصعوبة الانتصار عليها في كثيرٍ من الأحيان، وتحدثنا في ذٰلكَ كثيراً في مواضعه. ولٰكنَّ تقديرات توقعات مدة الحرب ومداها واحتمالاتها تقديرات خرافيَّة بكل ما تحمله الكلكة من معنى، بل أشعر أنَّ فيها سخرية صارخة بعقولنا واستسخاف غير محدود لنا، لا نحن العرب أو المسلمين بل نحن البشر. الحرب العالميَّة الولة استغرقت بضع سنوات قليلة تعد علىٰ أصابع اليد الواحدة، ومثلها الحرب العالميَّة الثَّانية... نصف العالم حارب نصف العالم الآخر ببضع سنوات. الحرب الباردة استغرقت ثلاثين سنة تقريباً، مثل المدة التي يقدرها الأمريكيون للقضاء علىٰ تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة!!!

مع أخذ كل اعتبارات الحرب وطبيعتها تبقى علامات استفهام كبيرة حول هٰذه التوقعات. ولٰكن إذا أزحنا اعتبارات الحرب المهنية وحساباتها وجدنا أنفسنا وجهاً لوجه أمام الهدف الحقيقي العام وما ينشعب عنه من أهداف جزئيَّة وتفصيليَّة.

الحقيقة التي يجب أن تكون واضحة هي أنَّ الفوضى والعبثية التي تمر بها المنطقة العربية المشرقية خاصَّة وهي الأكثر أهميَّة بالنسبة لأمريكا والغرب، هي الفرصة الثمنية التي بحثت عنها الولايات المتحدة الأمريكية لإدخال المنطقة فيما سمته يوماً الفوضى الخلاقة، الغرب يريد أن تطول الحرب في المنطقة وعلىٰ المنطقة لكي يشغلنا عشرات السنين لا نفيق بعدها أبداً. الولايات المتحدة والغرب يريدون إغراق منطقتنا بحربٍ طويلةٍ لا تنتهي، وخادمهم الأمين هو الأنظمة العربية التي لا يمكن فهم سلوكها المعادي لمصالحها هي قبل مصالح شعوبها. منذ أكثر من ربع قرن وأن أكتب في هذا الموضوع، ولست الوحيد بالتأكيد.

هنا صار من السهل أن نفهم لماذا لا تريد الولايات المتحدة خاصَّة ولا الغرب عامة الدخول في معركة برية في المنطقة. إنهم لا يريدون ذٰلكَ ليس حرصاً علىٰ أرواح جنودهم كما يزعمون، أبداً، وإن تأسيساً لحرب داخلية داخلية، سنية سنية، عربية عربية... مثل هٰذه الحرب إذاانداعت فإنها لن تنتهي، فيما دخول جيوش أجنبية أمر محسوم كما حسم وجودهم في العراق وأفغانستان، وسيظل التعامل معهم مختلفاً تماماً.

أكثر الذين يتاجرون بك عندما تقع في مصيبة هم أقرب النَّاس إليك، لذلك تريد أمريكا إشغال المنطقة بذاتها بوقودها الداخلي بعيداً عن أي تدخل خارجي، وتعزيز مبدأ نابليون إذا رأيت عدوك يدمر نفسه

فلا تقاطعه. كل ما سيفعلون هو ضخ الوقود في محركات الصراع، وتأجيج النار كلما خمدت.

ولذلك كانت حملة التَّصريحات المتراكمة بطول أمد المعركة عقوداً. حملة التصريحات لم تكن عبثية أبداً، كانت مدروسة بهدوء ومطبوخة بهدوء أكثر. إنها تريد تأسيس البنية النفسية لاستمرار القصف والمد والجزر وجر المنطقة رويداً رويداً إلىٰ الاشتعال. بطريقة تضمن الديمومة.

ولٰكن ماذا حدث؟

كما أشرنا بدءاً في حين أن الولايات المتحدة تخطط لمدى بعيد علىٰ نحو ما أبنَّا فإن الأنظمة العربيَّة متحرقة تسرعاً للقضاء علىٰ تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة، ويوماً بعد يوم راح ينكشف ظهر التحالف بتقدم الدَّولة الإسلاميَّة وعدم تأثرها بالضربات، الأمر الذي أدى إلىٰ ضغوط هائلة من الأنظمة العربية علىٰ الولايات المتحدة التي لم تتغير قناعاتها، وهي تبحث عن أفضل استراتيجيا لتحقيق مخططها وإرضاء الدَّول العربية مؤقتا.

في هٰذه اثناء جاء إعدام الطيار الأردني معاذ الكساسبة بطريقة ألهب مشاعر الناس وأوجدت مسوغات أمام الأنظمة العربية للدخول في المعركة البرية التي لا بديل عنها لحسم المعركة. وهو الأمر الذي تنتظره أمريكا بفارغ الصبر؛ أن تكون الجيوس المسلمة (السنية) في مواجهة الدَّولة الإسلاميَّة، وتفجير الصراع الديني الداخلي. ولذلك تلقفت الاندفاع الأردني وراحت تغذيه، وكذلكَ فعلت بريطانية وفرنسا. واستغل الولايات المتحدة الأمر للإفراج عن الاندفاع الصعودي والإماراتي للانخراط في معركة القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة.

ظلت أمريكا تراهن علىٰ توريط تركيا في هٰذه المعركة، ودأبت منذ بداية المعركة علىٰ ترهيبها وترغيبها، ووعدها ووعيدها لدفعها لقيادة المعركة البرية ولٰكنَّهَا أخفقت في كل المحالات بسبب إدراك تركيا مخاطر الورطة، ومعرفتها بالوعود الأمريكية الكاذبة. ولذٰلك لم يبق إلا العرب وهٰذا أكثر ما تريده الولايات المتحدة. وعلىٰ هٰذا الأساس جاء تصريح الجنرال الأمريكي جون ألن منسق التحالف الدَّولي للقضاء على تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة يوم الاثنين ٢٠١٥/٢/٩م بأنَّ «هجوماً بريًّا وشيكاً واسعاً سيبدأ قريباً في العراق ضدَّ التنظيم بإسناد من قوات التحالف التي تضم ٦٢ دولة[٢٣]».

حسناً، في نظرة إلىٰ صورة الموقف هٰذا يعني إمَّا أنَّ التَّصريحات السَّابقة كلها؛ الأمريكيَّة وحَتَّىٰ الغربيَّة، كاذبة وهٰذا ممكن في إطار الحرب النَّفسيَّة والحرب خدعة. أو أنَّ الإدارة لا تعرف ماذا تفعل ولا تعرف كيف تقدِّر الأمور وأنَّها تقود العالم بهٰذه العقليَّة السبهللية الارتجاليَّة الغبيَّة.

أمَّا أن تكون التصريحات كلها كاذبة فهٰذا وهم وقد بيَّنا حقيقتها. ليست كاذبةً أبداً، وكانت تعني تماماً ما تقوله، وأنَّ الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة لا يمكن أن تنتهي في عقود، إذا انتهت في عقود. تحتاج الحرب إلىٰ عقودٍ رغبةً وإكراهاً للمصادفة غير السَّعيدة للجميع.

وعندما تقرِّر اليوم بدء العمليَّة البريَّة خلال شهرٍ أو أكثر ناسفةً كلَّ التَّوقُّعات السَّابقة، والتَّصريحات، فهٰذا يعني أنَّها ثورٌ هائج يرطم بالحيطان علىٰ غير هدى، وكلُّ رطمةٍ تردُّ إلىٰ جهة أُخْرَىٰ. وهٰذا حقيقة أيضاً.

(٢٣) . جاء ذٰلكَ في حوار مع وكالة الأنباء الأردنية الرسميَّة بث باللغتين العربية والإنكليزية في ٢٠١٥/٢/٩م.

لا أحد ينكر أن الولايات المتحدة إمبراطورة الغرب والعالم، تعرف ماذا تريد، وتسير إلىٰ أهدافها بطريقة أو بأُخْرَىٰ. ولٰكنَّ في الوقت ذاته من يحسب أن كل شيء يسير وفق الإرداة الأمريكية، أو أنَّ الولايات المتحدة لا تخطئ، أو أنَّها لا تقع في حيرة وتردد ولا تعرف ماذا تفعل، فهو واهم.

إن عدم معرفة الولايات المتحدة ماذا تفعل سوريا هو الذي جر المنطقة كلها إلىٰ هٰذه الفوضى والعبثية، ليست العبثية أو الفوضى الخلاقة التي تسعى لها الولايات المتحدة كما يتوهم الكثيرون. لقد وصلت المنطقة إلىٰ فوضى خارج السيطرة تهدد المصالح الأمريكية أكثر مما يتخيل الأمريكيون. وبهٰذا المعنى كتبت وكررت مراراً، يوماً سيترحم الأمريكان علىٰ أسامة بن لادن، هٰكذا يردد الأمريكان ليل نهار منذ أشهر. ولن يتعلموا الدرس، وبعد فترة ستجدون الأمريكان يقولون: سقا الله أيام أبي بكر البغدادي.

من البداهات التي يجب أن تدرك من دون طول تحليل أنك تستطيع أن تبدأ الحرب متى شئت، ولٰكن ليس بإمكانك أن تنهيها متى شئت. هٰذه هي صورة الحرب التي أججتها الولايات المتحدة في المنطقة بعدم معرفتها ماذا تفعل، وسوء تصرفها وتقديرها.

لنعد إلىٰ المعركة البرية. المعركة البرية ستكون في العراق فقط. ماذا يعني ذٰلكَ؟

يحسب بعضهم أنَّها لا تريد إسقاط بشار الأسد، وتسعى للحل السياسي. والأمر كذٰلكَ ولٰكن ليس لهٰذا السبب. أمريكا بحرجها في الإسراع في العملية البرية، وهو أمر أيضاً ما زال مشكوكاً فيه، فإنَّ

الحسابات الأمريكية تقوم علىٰ أنَّهُ يجب القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة في العراق لامين الاستقرار في العراق الذي هو الباحة الخلفية لإيران، شريكا الاستراتيجي الخفي قديماً، الظاهر حاليًّا، وفي الوقت ذاته يجب أن تبقى الحرب مفتوحة في سوريا لاستنزاف المنطقة إلىٰ أقصى الحدود الممكنة، واستمرار ابتزاز الأنظمة العربية بتوليع المنطقة لا ببقاء بشار الأسد، فالأنظمة العربية حريصة علىٰ عدم انتصار الثَّورة السُّورية الأمر الذي لم يقتنع به السُّوريون إلا مؤخراً.

إذن، إذا دشَّنت أمريكا الحرب البريَّة علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة في العراق فإنَّ ذَلكَ سيكون أدعى أكثر لحرص أمريكا علىٰ عدم إسقاط بشار الأسد.

الفصل العاشر

الغرب

يبلع السكين على الحدين

غير بعيد عن واقع الذي نعيشه اليوم[٢٤]، أي بعيداً عن التَّحليل القبليِّ أو البَعديِّ للحدث، نحن أمام واقعٍ محرجٍ تعيشه الأنظمة الغربية، رُبَّما يكون هو الحرج الأخطر الذي يتعرَّض له الغرب عبر تاريخه المعاصر في أقلِّ تقدير.

إنَّهُ واقع الحرب علىٰ الدَّولة الإسلامية، التي اشتهرت باسم داعش نحتاً من دولة الإسلام في العراق والشام قبل إعلان قيام دولة الخلافة.

(٢٤) .كتب هٰذا المقال ونشر في الفترة ذاتها ٢٠١٥/٢/١٤م.

لن أعود إلىٰ تحليل مسلسل التَّهديدات والتَّحذيرات والمخاوف والحملة الكوميدية لقادة الغرب في الدفّاع عن الإسلام... كانت مضحكة جدًّا تصريحات القادة الغربيين في الدفاع عن الإسلام والحرص علىٰ عدم تشويهه من قبل الخوارج الداعشيين!!

إذن فيما بدا، وفيما أقنعنا بل حاول إقناعنا قادة الغرب أنَّ حرصهم علىٰ الإسلام النَّقي المتسامح الراقي الأصلي الأصيل هي نقطة انطلاق الغرب في إعلان الحرب علىٰ الدولة الإسلاميَّة وحشد اثنين وستين دولة في تحالف دوليٍّ لمحاربة هٰذا التَّنظيم أو الدَّولة. هم أقنعونا بذٰلكَ، أو ظنوا أنَّهُم يقنعوننا بذٰلكَ. لا ندري إن كنَّا اقتنعنا أم لا. قادة العرب والأنظمة العربيَّة اقتنعوا مئة وعشرين بالمئة. هٰذا صحيح. ولٰكن ما مدى اقتناع الشُّعوب العربيَّة والإسلاميَّة بذٰلكَ؟ أنا شخصيًّا لا أدري، ولا أثق كثيراً في تقديرات وسائل الإعلام، أو مؤسَّسات البحث المختصة بسبر الرأي العام.

علىٰ أيِّ حالٍ، ليست هٰذه هي المشكلة هنا. المشكلة الحقيقيَّة في أمرين آخرين علىٰ الأقل ينجم عنهما ما ينجم.

الأمر الأول وقبل أيِّ شيء: هل الغرب مقتنعٌ بأنَّهُ يدافع عن الإسلام حقًّا؟

إذا كان مقتنعاً بذٰلكَ فنحن أمام المعجزة الأكثر إدهاشاً طيلة قرون وجود الإسلام. وفي الوقت ذاته نحن أمام المفارقة الأكثر إدهاشاً للعقل. لأنَّ كلَّ السلوكات السِّياسية الغربيَّة وتابعها الإعلامي تقول عكس ذٰلكَ تماماً. إذن ثَمَّة تناقضٌ يحتاج إلىٰ تفسير. ولا يمكن تفسيره إلا بأنَّ الغرب يكذب في زعمه أنَّهُ يدافع عن الإسلام.

إذن، لماذا الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة؟

ما الذي دعا الغرب إلىٰ هٰذا التَّجييش والحشد لصراع ضدَّ جماعةٍ أو تنظيمٍ أو دولةٍ إرهابيَّةٍ أو غير إرهابيَّةٍ موجودةٍ علىٰ الأرض العربيَّة وهي في حالة صراع مع المنطقة لا أحد يدري متىٰ ينتهي؟ أي إنَّهَا نظريًّا لا تشكل أيَّ تهديدٍ في الأفق القريب لأيِّ دولةٍ غربيَّةٍ.

سيقول قائل إنَّ الدَّولة الإسلاميَّة تشكِّل تهديداً للغرب ولمصالح الغرب. هٰذا الكلام تكرَّر كثيراً وخاصَّة علىٰ ألسن المسؤولين العرب، ومعهم مسؤولون أمريكيون وصل الأمر بالمندوب الأمريكي إلىٰ القول في مجلس الأمن في أواخر العام الماضي بأنَّ «الدولة الإسلامية لا تهدِّد البشريَّة فقط...». لم يكمل العبارة، وانتظرنا لنعرف ماذا تهدِّد أيضاً: هل تهدد عالم الجن أيضاً مثلاً، أم هل تهدِّد المجموعة الشمسيَّة مثلاً؟

هٰذا التهديد للغرب في نظري وهمٌ أكثر مما هو حقيقة. من الناحية المنطقيَّة والواقعيَّة هٰذا التَّنظيم، وما يسمى الجماعات الإرهابيَّة الإسلاميَّة علىٰ اختلاف مسمياتها وأنواعها، لم توجد في الغرب ولم يكن هدفها الغرب، وإذا عدنا إلىٰ تاريخيتها وجدنا أنَّها وجدت فقط في دول إسلاميَّة بالعام، وبالعام تحارب الاحتلال، وفي استثناءات تحارب الأنظمة الإسلاميَّة. أي إنَّ تهديدها للغرب مشروط بسلوك الغرب. وللتَّاريخ فإنَّ كلَّ العمليات الإرهابيَّة التي قامت بها هٰذه التَّنظيمات في الغرب أقل بمئة ألف مرَّة من عملياتها في البلدان الإسلاميَّة، وأقل بمليون مرة من أفعال الغرب العدوانية علىٰ العرب والمسلمين. مع افتراض أن كل ما نسب إليها هو من صنعها.

إذن إنَّ تهديد هٰذه التَّنظيمات مرتهنٌ بأداء دول الغرب وليس تهديداً مطلقاً ولا خاصًّا لها. إذن الغرب هو الذي يجر علىٰ نفسه البلاء وليس البلاء هو الذي ذهب إليه من تلقاء ذاته. والتَّاريخ يؤكِّد هٰذه الحقيقة. لماذا أمريكا وفرنسا وبريطانيا تحديداً تظل تبعبع بهٰذه المخاوف ولا نجد مثلها في معظم الدول الغربية الأُخْرَىٰ، ولا الدول الأوروبيَّة الشَّرقيَّة؟ أليس في هٰذا ما يوحي بخوف الجاني من صحوة الضَّحية؟

هنا تبدو الحقيقة أكثر وضوحاً. إنَّ الغرب برأسه الأمريكي البريطاني الفرنسي هو الذي فرض علىٰ نفسه معركة هي ليست معركته في الراهن الحاضر علىٰ الأقل. هو الذي استعدى العرب والمسلمين.

لماذا فعل ويفعل ذٰلكَ؟

هل هو مضطر؟

أجبنا عن وجه من المخاوف وهو صحيح. ولٰكنَّ ما لم نجب عنه هو الصِّراع الحضاري، وصراع المصالح. المخاوف الغربية التي لا يتم الإفصاح عنها هي مخاوف صراع المصالح المستقبلي، وهو أمرٌ أدركه الغرب منذ قرون ويعمل بموجبه وعلىٰ أساسه. ولا نعود إلىٰ مؤتمر كامبل بنرمان في مطلع القرن العشرين الذي حدَّد نهائيًّا معالم هٰذا الصِّراع وكيفية احتواء المنطقة العربيَّة وتقسيمها.

محاربة الدَّولة الإسلاميَّة وغيرها من التَّنظيمات المسمَّاة إرهابيَّة، وحَتَّىٰ الدُّول العربيَّة ذاتها إذا اقتضت الضَّرورة كما حدث في العراق، كلها خطىٰ مرسومة ولا بديل عنها للغرب لمنع قيام أي قوة في المنطقة العربية تهدد المصالح الغربية. وسيكون من الفجاجة بمكان أن تعلن حربها علىٰ المنطقة أو جزء منها

من دون سبب، السبب كان تهديد الأمن القومي الأمريكي، الإرهاب والتطرف، وغير ذَلكَ.

إذن لا بديل للغرب عن خوض هٰذه المعركة. وقد بينت في تحليلات غير قليلة المخطط الغربي بل الأمريكي علىٰ نحو خاص للخروج بالفوز من دون خسائر، وإدخال المنطقة في دوامة صراعٍ داخليٍّ لا ينتهي قدر الإمكان، ويبقى الغرب في موقع وموقف المؤجج والحكم والمتفرج وحاصد الجوائز.

ولٰكنَّ الذي لا يغيب عن بال بني آدم عادي أن لكل فعل رد فعل. لا شك في أن الغرب يدرك أنَّهُ ستكون ردة فعل علىٰ هٰذا الاستعداء. ولٰكن ما لا يغيب أيضاً عن الذهن هو البداهة التاريخية، الحكمة البشريَّة التي تقول: «تستطيع أن تبدأ الحرب متى شئت، ولٰكنَّهَا لا تستطيع أن تنهيها متى شئت». الغرب وضع حلاً لهٰذه المعادلة هو الحل الترقيعي، انتظار ردة العفل والتعامل معها، حسب ردة الفعل يكون الرد والتصرف.

هٰذا الحل الترقيعي كان جيداً وفعالاً طيلة القرن العشرين، ولٰكنَّ الأحداث اليوم تسير بأسرع مما يتخيله صناع القرار في العالم الغربي. الأحداث منذ بدء الثورة السورية تسير بوتائر متسارعة تفوق بداهة صناع القرار الأمريكي علىٰ الرد المناسب، ولذٰلك هم دائماً يلهثون لحل مشكلة فات أوان حلها، ولا يستطيعون تركها من دون حل، فتكون قد نشأت مشكلات وأحداث جديدة.

الغرب لأول مرة في تاريخ الحديث والمعاصر أمام هٰذا المأزق الذي ما فتأ يحشر العرب فيه منذ مطلع القرن العشرين. قامت سياسة الغرب تجاه العرب منذ

مؤتمر كامبل بنرمان علىٰ مبدأ جعل العرب واقفين علىٰ رجل واحدة، ويلهثون وراء الدفاع عن أنفسهم ضد اتهامات لا يفرغون من واحد حَتَّىٰ تكون قد ركبتهم مجموعة جديدة، فيظلون مثل الحمار الذي يلهث وراء الجزرة المعلقة بعصا راكبه. الغرب لأول مرة منذ بداية نهضته يتحول إلىٰ الحمار الذي يلهث وراء الجزرة.

الأمر لا ينتهي هنا.

هٰذا القسم الأول من محاصرة الغرب لذاته بأخطائه. أخطاؤه التي لم يكن منها بُدٌّ. اليوم سلط فيديو نشرته الدولة الإسلامية الضوء علىٰ خطر لم يكن في الحسبان. بدأ تنظيم الدولة الإسلامية يهدد جديًا وعلىٰ نحو واضح باستهداف دول غربية بعينها في قلب هٰذه الدول. هل كان يخطر هٰذا ببال صناع القرار الغربي؟

سيقول قائلٌ بأننا علىٰ مدار عقود ماضية ونحن نسمع تحذيرات غربية من قيام الإرهابيين الإسلاميين باستهداف المصالح الغربية في أوروبا وأمريكا.

هٰذا صحيح. أرجو التدقيق في الكلام من جديد. الإعلام الغربي، صناع القرار في الغرب هم الذين يعلنون ذٰلكَ. باستثناء أسامة بن لادن في تهديد له، وبعض التهديدات التي تأتي ردود أفعال علىٰ سلوكات عربية استفزازية للإسلام والمسلمين، فإن تهديدات الدولة الإسلامية هٰذه علىٰ ألسنة أبناء الغرب ذاته هي الظاهرة الجديدة والجديَّة. كانت الدولة الغربية تهدد نفسها علىٰ لسان الإسلاميين اليوم الإسلاميون هم من يهدد استهداف الغرب بطريقة الدولة الإسلامية التي تثير الهلع.

هنا وقع الغرب بَيْنَ فكي الكماشة، هنا بلع الغرب السكين علىٰ الحدين. لاحظوا ماذا حدث وسيحدث:

الغرب يستفز المسلمين بمعاداة صريحة وازدواجية مفضوحة.

الغرب يحاصر الإسلاميين ويمنعهم من الذهاب إلىٰ سوريا والعراق للجهاد علىٰ أساس تجفيف منابع الجهاديين أو الإرهابيين.

الراغبون في الجهاد صاروا محاصرين مضطرين للبقاء في بلدانهم الغربية.

أعدادهم بالآلاف ورُبَّما الآلاف غير القليلة.

الدولة الإسلامية تدعهم إلىٰ عمليات استشهادية في دولهم.

الغرب حاصر نفسه من الخارج والدَّاخل... صار بَيْنَ فكَّي كمَّاشةٍ واحدةٍ؛ مضطر ولا بديل أمامه من استفزاز المسلمين وشحنهم ضدَّ الغرب. وفي الوقت ذاته هو بَيْنَ خيارين أحلاهما مرٌّ:

إمَّا أن يحاصرهم في أوروبا ويجعلهم قنابل موقوتة لا يعرف أين ولا كيف تنفجر، ولا ماذا ستكون النَّتيجة.

أو أن يسمح للجهاديين بمغادرة أوروبا للجهاد في سوريا والعراق بما يعني تعزيز الدولة الإسلاميَّة وتدعيمها ومدَّها بالجنود علىٰ نحو متواصل بما يعني تأصيل الظاهرة الجهادية ومنحها الشرعية التي ستفتح أفقاً أكبر لنمو هٰذه الظاهرة وزيادتها قوةً.

سورية
الضمير العالمي

الفصل الحادي عشر

زوم إن زوم أوف اقصف

زوم إن زوم إف اقصف[٢٥] تعبيرٌ يبدو واضحاً وغامضاً في الوقت ذاته. هو تعبير مفتوح علىٰ نيَّة الفهم في حقيقة الأمر. دعونا إذن نقترب من الهدف رويداً رويداً.

يدرك الجميع متابعون وحَتَّىٰ غير متابعين التَّركيز الشَّديد وتسليط كل الأضواء علىٰ كل ما تقوم به الدَّولة الإسلاميَّة المسماة داعش. كلُّ ما تقوم به وأعني كلَّ ما تقوم به حَتَّىٰ ولو كان تافهاً، ونفخه وتضخيمه وتحويره وتدويره وتحويله إلىٰ ظاهرة إعلاميَّة، تذكروا ساعة الخليفة كم أخذت من مساحات

(٢٥) .كتب هٰذا المقال ونشر في الفترة ذاتها ٢٠١٥/٢/١٦م.

الإعلام وصفحات التَّواصل الاجتماعي، ثمَّ سيَّارة الخليفة وهكذا. فما بالكم في تنفيذ هٰذا الإعدام أو ذاك؟ لا شكَّ في الأمور ستكون علىٰ درجة ملفتة أبعد حدود الإلفات.

تزداد الصُّورة تعقيداً إذا ما لاحظنا أنَّهُ في المقابل يتم التعتيم شبه المطبق علىٰ جرائم أشد وأبشع وأشنع يقوم بها غيرهم ضدَّ أي فرد أو شخص من أي طبيعة كانت ولأي سبب كان ومهما بلغ من الوحشية والشَّناعة والكمية.

ما هٰذا؟ ولماذا؟

الجواب شبه الإجماعي هو الازدواجيَّة. ازدواجيَّة المجتمع الدولي في معايير التعامل. هٰذا صحيح. ولٰكنَّ الازداوجيَّة نتيجة وليست مقدمة. الازدواجيَّة وسيلة وليست غاية.

الأساس والقاعدة في ذٰلكَ هي المصالح. المصالح هي التي تحكم سلوكات الدول مثلما تحكم سلوكات البشر. ولا تحدثوني عن استثناءات أبداً لأنَّ الاستثناء تأكيد للقاعد لا نفي لها، هٰذه البداهة التي ما فتئ أساتذتنا ينفخون رأسنا بها منذ الطفولة حَتَّىٰ لا نصل يوما إلىٰ الاتكاء عليها في نفي القاعدة. هي بداهة علىٰ أي حال.

مصالح الدول هي التي تقود سلوكاتها وخياراتها وقراراتها مهما كانت مصالح الآخرين، ومهما تضرر الآخرون، المهم هو مصالحها هي. هنا تأتي بداهة أُخْرَىٰ لتسند الإيضاح وهي أنَّ حقَّك بقدر قوتك، بقدر ما تملك من القوَّة تستطيع أن تحصل حقوقك ومصالحك. وهٰذا يعني علىٰ نحو مباشر لا لبس فيه ولا لف ولا دوران أن مصالح القوي تتحقق علىٰ حساب مصالح الضعيف، وحقوق الضعيف يأكلها القوي إن لم يكن بإرادة انتهاك حقوق الضَّعيف علىٰ

نحو مباشر ومقصود فبحكم تضارب المصالح التي لا تقبل القسمة علىٰ طرفين... بل حَتَّىٰ ولو قبلت القسمة، فما مصلحة أمريكا في خدمة مصالح سوريا مثلاً أو السعودية أو غيرهما؟

إذن، تسليط الأضواء علىٰ أيِّ حدثٍ علىٰ الصعيد العالمي مرتهن أساساً بمصالح سياسيَّة، هي بالضرورة مصالح الدول الكبرى وعلىٰ رأسها الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة. وينسحب ذَلكَ علىٰ المستويات الأدنى ضمن دوائرها فقط لا تتعداها. تسليط الضَّوء هٰذا منوط بجوقة إعلاميَّة استخباراتيَّة مهمتها تصعيد الجملة المراد تصعيدها، وتضخيمها وتعظيمها والتَّهويل بها وفق مقتضيات المطلوب، وفرضها علىٰ وسائل الإعلام فرضاً نفسيًّا لا إكراهاً ولا إلزاماً. حَتَّىٰ تبدو وسيلة الإعلام التي لا تشارك في هٰذه الحملة بمستوى من المستويات علىٰ أنَّها نشاز وتغريد خارج السرِّب. أكثر وسائل الإعلام تسير في ركاب حملات التضليل من حيث تدري ولا تدري، بموجب حملة التضليل التي تقودها الجوقة الإعلامية الاستخباراتية.

السِّياسة هي سيِّدة الموقف والقرار في حقيقة الأمر، وكثيرون يجهلون هٰذه الحقيقة أو لا يريدون إدراكها أو الاقتناع بها. في حين أن الإعلام سلطة لها ما لها من القوَّة، وفي حين أنَّ الاقتصاد له ما له من القوَّة، فإنَّ السِّياسة وحدها سلطة وقوة تنفيذيَّة بيدها كل أوراق اللعبة. ولذلك تسيطر السِّياسة علىٰ كل من الاقتصاد والإعلام بطرائق كثيرة تبدأ من المباشرة وتصل إلىٰ الإكراه اللامباشر. ومن هٰذا الباب يمكن أن نفهم الازدواجيَّة الصارخة التي نجدها اليوم، ولم تكن غير موجودة سابقاً، من تسليط الأضواء علىٰ كل ما تقوم به الدَّولة الإسلاميَّة من إعدامات وتصويرها علىٰ أنَّها نهاية التَّاريخ، ونهاية القيم، ونهاية الأخلاق...

في حين أنَّها تصمت صمتاً مطبقا علىٰ جرائم أشنع بآلاف المرَّات يرتبكها آخرون في الوقت ذاته لا في أوقات ماضية. في الوقت ذاته ترتكب جرائم أشد وأعنف وأبشع ضد المسلمين من قبل الميليشيات الشيعيَّة الطائفيَّة والإيزيديَّة في العراق وسوريا وإيران، والبوذيَّة في مينمار، والمسيحيَّة في أفريقيا الوسطى... ولا أحد يثير أي غبار أو استنكار أو تساؤل في ذَلكَ، وكأنَّهُ لم يكن، بل كأنَّهُ ضرورةٌ أخلاقيَّة.

لن أعود إلىٰ حوادث قديمة وهي غير قليلة، أقف عند الواقع الذي نعيشه اليوم فقط. مسلم ارتكب جريمة ضد صحافيين فرنسيين أثارت أعاصير الاستياء والاحتجاج في أرجاء الدنيا. هو سياق التعامل مع أي مسلم يرتكب أي جريمة في أي مكان في العالم منذ سنوات كثيرة، وقد تحدَّثت غير مرَّةٍ في مثله علىٰ مدار عقود مضت. ولٰكن مع الدَّولة الإسلاميَّة صار للتَّهويل نكهة هوليوديَّة عالية الضَّجيج والصَّخب.

للمصادفة بعد أيَّامٍ قليلة مسيحيٌّ يرتكب جريمة ضدَّ عائلةٍ مسلمةٍ في كارولاينا الشَّماليَّة بأمريكا؛ يقتل الزَّوج والزَّوجة وشقيقة الزَّوجة بحقدٍ دينيٍّ صرفٍ باعتراف القاتل. ولٰكنَّ العالم صمت، بل قال لا، لا، ليس حقداً دينيًّا والتمس التَّخريجات علىٰ الفور... هٰذا السِّياق أيضاً قديم يتكرر. بل إن الإعلام الأمريكي لولا الفضيحة لم يشر إلىٰ الجريمة أبداً.

إذا كان هٰذا السُّلوك بهٰذه الطَّبيعة ذاتها قديماً غير جديدٍ فكيف سيكون اليوم مع الدَّولة الإسلاميَّة التي هي مالئة الدُّنيا وشاغلة الناس بفعل هٰذا الضَّخ الإعلاميِّ؛ الدَّولة الإسلاميَّة تهدد البشريَّة جمعاء حسبما يؤكِّد هٰذا الضَّخ الإعلامي. ولذَلك من الطَّبيعي إغماض العين عن أكبر الجرائم مهما بلغت من

البشاعة والشَّناعة التي يرتكبها أيُّ طرفٍ غيرها حَتَّىٰ لا يتمَّ خطف الأضواء عن هدف المصالح السياسيَّة الغربيَّة ومعها الأنظمة العربيَّة، وحَتَّىٰ لا تحدث مقارنات تحرف الرأي العام العالمي عن بؤرة الهدف المقصود.

لا ننفي بعداً دينيًّا في الصراع علىٰ الإطلاق، ولٰكنَّ صراع المصالح هو الأساس، مع الانتباه إلىٰ أنَّ الصراع الديني جزءٌ من صراع المصالح، المصالح أوسع من الصراع الديني. ولأنَّ البعد الديني حساس جدًّا لدى الإنسان تعمد الأنظمة السياسيَّة إلىٰ ركوب الدين وتوشيح صراع المصالح بالصراع الديني كسباً للرأي العام في المعركة والصراع.

تأكيداً لتفسير المصالح لننظر في الشَّاهد المصري. في الشاهد المصري نجد كيف تقود المصلحة لتناقض صارخ في التَّعامل مع الحدث ذاته، مع الفاعل ذاته. قبل أمس قامت الدَّولة بإعدام واحد وعشرين مصريًّا في ليبيا، فاستنفر النظام المصري بقضه وقضيضه وقرر القرارات واتخذ الإجراءات وأعلن الحداد سبعة أيام، وشن صبيحة اليوم التَّالي غارات جويَّة علىٰ ليبيا، ووعد بالمزيد كل يوم، واليوم قدَّم السيسي طلباً لمجلس الأمن بتشكيل تحالف دولي لدخول ليبيا علىٰ غرار التحالف الدولي الذي يحارب الدَّولة الإسلاميَّة في العراق والشام.

هٰذا النظام ذاته، تعرضت قاعدة عسكريَّة له قبل نحو أسبوعين لهجوم من قبل الدَّولة الإسلاميَّة ذاتها، أودى بحياة أكثر من أربعين ضابطاً وعسكريًّا... ومع ذٰلكَ لم يحدث أي استنفار، لم يحدث أي حداد، لم ولم ولم... الفاعل ذاته في المكانين، المفعول به ذاته في المكانين. فلماذا هٰذه الازدواجيَّة الصارخة في ردة فعل المفعول به ذاته؟

إنَّها المصلحة. النَّظام المصري يتحرَّق منذ أشهر للتَّدخل في الشَّأن الليبي ويبحث عن الذريعة الكافيَّة والمناسبة منذ ذَلكَ الحين لوضع حد للرَّبيع الليبي وإعادة نظام القذافي من خلال خليفة حفتر لشرعنة الثورة المضادة في مصر... وغير ذَلكَ من أهداف تنطوي تحت هٰذا الباب العريض. وقد كتبت ونشرت في هٰذا الشَّأن في الرَّابع من الشَّهر الأول من هٰذا العام تحت: السِّيسي ستوغل في ليبيا: «بات من شبه المؤكَّد أنَّ الجيش المصري السِّيسي سيتوغَّل في ليبيا علناً وبوضوح تحت ذرائع سيعلن عنها في وقتها... والغاية هي تحرير ليبيا من الليبيين والمسلمين وإعادتها إلى سكانها الأصليين...

وإذا نجحت التَّجربة فسيكون التَّوغُّل الثاني في غزة لتحريرها من الغزاويين وإعادتها إلىٰ الفلسطينيين أو سكانها الأصليين!!! ترقبوا المرحلة القادمة».

الفصل الثاني عشر

هل قلبت أمريكا الطاولة؟

أمريكا تخرج عن عادتها في اللف والدَّوران وتمرير الرَّسائل بَيْنَ السُّطور لتدخل في الموضوع مباشرةً وتعلن بوضوح: الأسد أو نحرق البلد، الأسد أو لا أحد. فهل قلبت أمريكا الطَّاولة[٢٦]؟

بالمناسبة في ٢٠١٤/١٠/١٠م نشرت مقالاً بعنوان: شعار أمريكا الأسد أو نحرق البلد. ولا أريد أن أعدِّد المقالات التي نشرتها في هٰذا الموضوع منذ بداية الثَّورة فهي جدُّ كثيرةٍ اجتمعت في كتاب الثَّورة السُّوريَّة والمؤامرة الكونيَّة الذي صدر في ٢٠١٤م.

(٢٦) .كتب هٰذا المقال ونشر في الفترة ذاتها ٢٠١٥/٣/١٥م.

ولذلك أجدني، في هٰذا السِّياق أعلن أنَّني ما زلت أندهش من اندهاش السُّوريين من جميع الأطراف، وقبلهم من المحللين الفطاحل والإعلام العالمي كلِّه من التَّصريحات الأمريكيَّة أمس التي جاءت علىٰ لسان مدير الاستخبارات الأمريكيَّة جون برينان عن الثَّورة السُّوريَّة في لقاء تلفزيونيٍّ إذا قال:

«لا نريد إسقاط النِّظام المؤسَّسات السُّوريَّة»، وقال: «إنَّ سقوط بشار الأسد سيفتح المجال أمام الجماعات الإسلامية لاستلام السلطة». وأضاف: «لسنا وحدنا الذين نرغب في ذٰلكَ بل إن روسيا والصين ودول غربية كثيرة ودول عربية كثيرة تؤمن بذٰلكَ وتريده».

القنابل الصَّوتيَّة الصَّاعقة التي فجَّرها جون برينان في لقاء الأمس لا تتوقَّف هنا. هناك المزيد من الإثارة والتَّشويق الذي سنعود إليه. ولٰكن دعونا نقف هنا قليلاً بدايةً.

الحقيقة في حدود متابعتي واستنتاجاتي منذ بداية الثَّورة أنَّهُ لا جديد في الموقف الأمريكي. مع التَّحفظ علىٰ الأشهر الأولى حَتَّىٰ نهاية ٢٠١١م في الحدِّ الأقصى. بل إنَّ كثيراً من التَّصريحات الأمريكيَّة علىٰ امتداد السَّنوات الثَّلاث المنصرمة كانت واضحةً في إعلان هٰذا الموقف لا تحتاج إلىٰ مفسِّر أحلام ولا قارئ فنجان حَتَّىٰ يكشف غوامضها.

ولذلك أجدني مندهشاً من المندهشين من إعلان هٰذا الكلام أمس علىٰ لسان مدير الاستخبارات الأمريكيَّة وتساؤلاتهم: لماذا تلحس أمريكا مواقفها؟

أين كانوا يعيش هؤلاء المتسائلون المندهشون؟

وكيف كانوا يفهمون واضحات الأمور والتَّصريحات؟

وأستاء أشدَّ الاستياء من القادة والمحللين السِّياسيين الذين مارسوا غباءهم علىٰ مدار السَّنوات السَّابقة وزعم بعضهم اليوم أنَّهُ كان يدرك هٰذه الحقيقة منذ البداية.

لم تكن التَّصريحات الأمريكيَّة أقلَّ وضوحاً من هٰذا التَّصريح. وقد كرَّرت تعليقاً علىٰ ذٰلكَ منذ سنوات مرَّات بأنَّ هٰذه التَّصريحات لأمور ثلاثة:

أولها الهروب من التَّقدم لحلٍّ جديٍّ.

وثانيها تكريس استمرار الصِّراع من أجل استمرار تدمير سوريا وإخراجها من التَّاريخ.

وثالثها من أجل تفتيت سوريا بالطَّريقة الأمريكيَّة، ليس تقسيمها ولٰكنَّ تفتيها بلبنتها أو عرقنتها لتخرج من دائرة الفعل بالمطلق. وكتبت في التَّحذير من مخطَّط المحاصصة هٰذا عشرات المرات.

المحاصصة هي بؤرة التَّخطيط الأمريكي. الحقيقة التي يجب أن يدركها السُّوريون جميعاً هي أنَّ المحاصصة هي الهاوية التي يُراد جرَّهم إليها وتقديمها لهم علىٰ أنَّها الحلُّ الأمثل والأفضل، في حين أنَّها أخطر من بقاء النِّظام وأخطر من كلِّ أنواع الدَّمار. وقد أعلن رينان هٰذه الرَّغبة والمخطَّط بخبثٍ شديدٍ إذ قال: «نريد حكومة تمثِّلُ جميع الأطياف»، «إنَّ تشكيل حكومةٍ من جميع الأطياف هي الحلُّ الأمثل».

هٰذا كلامٌ خطيرٌ وخطيرٌ جدًّا. ظاهرهُ جميلٌ لمن لا يفهم في السِّياسة والرؤية الاستراتيجيَّة ولا حَتَّىٰ في شيء، لأنَّهُ ينادي بتمثيل جميع الأطياف!!! والغاية ليست الحرص علىٰ الأطياف جميعها، ولا علىٰ أحدٍ منها، بل الغاية هي خلق الأوضاع المناسبة تدريجيًّا وتهيئة الشَّعب السُّوري لمرحلة محاصصةٍ طائفيَّةٍ

وعرقيَّة ومناطقيَّة للسُّلطة بحيث تصبح سوريا مثل لبنان أو العراق ينعدم معها وجود الدَّولة وتنقلب السُّلطة إلىٰ حصصٍ تفرض ذاتها علىٰ الدَّولة بمواقفها وأيديولوجياتها ومصالحها مثل لبنان أو العراق فوزير الخارجيَّة العراقي وزير الأكراد لا علاقة له بالدَّولة إلا بما يتفق مع كرديته التي وضعته في السُّلطة وزيراً، وكذلكَ وزير الخارجيَّة في لبنان هو مندوب الطَّائفة التي وضعته فيه ويمثِّل موقف الطَّائفة التي وضعته لا موقف الحكومة، ولذلك ما أكثر ما وجدنا موقف وزير الخارجيَّة شيء وموقف رئيس الحكومة شيء مخالف: كلٌّ يغني لطائفته. وعلىٰ هٰذا القياس بقية المناصب والوزارات.

ينبغي أن لا ينخدع السُّوريون من هٰذه المطالب البراقة إنَّهَا أكبر كمينٍ يترصَّدُ سوريا. وسيستهوي الكثيرين بمظهره البرَّاق من جهة صورته بتمثيل أطياف المجتمع في السُّلطة. وأغلب الظَّن أنَّ الأقليات ستدفع بهٰذا الاتجاه مهما كانت النَّتائج تحت ضغط مخاوف روَّج ويروِّج لها النِّظام وتروِّج لها الإدارات الغربيَّة وحَتَّىٰ العربيَّة. هٰذا علىٰ الرَّغْمِ من أوهام التَّركيبة الفسيفسائية التي يُرَوَّجُ لها، فالمجتمع السُّوريَّة ليس فسيفسائيًّا كما يصورون، ولا يجيز تقاسم السُّلطة أبداً علىٰ أساس التَّركيبة السُّكانيَّة لأنَّ ثمانين بالمئة علىٰ الأقل عرباً مسلمين (سنة) وعشرين بالمئة علىٰ الأكثر لكلِّ الأقليات، وهٰذا مثل أيِّ بلدٍ في العالم، فلماذا سوريا وحدها تجب فيها مثل هٰذه المحاصصة؟

علىٰ أيِّ حالٍ، لنعد إلىٰ القسم الأول من التَّصريحات وهي عدم السَّماح بسقوط مؤسسات الدَّولة؟

ليس برينان ولا أمريكا ولا روسيا ولا إيران ولا الصِّين ولا الفلبين ولا أيُّ دولةٍ في العالم أحرص من السُّوريين علىٰ عدم إسقاط مؤسَّسات الدَّولة. ولا

نحتاج منه ولا من غيره أن يعلمنا الوطنيَّة ولا الحرص علىٰ الوطن. هناك الكثير من الأخطاء التي يرتكبها السُّوريون من الطَّرفين بحقِّ الوطن، نعم، ولٰكنَّ لن يكون أحدٌ في الدُّنيا أحرص منهم علىٰ وطنهم. ولذٰلك عليه وغيره أن يخيط بغير هٰذه المسلَّة.

وحَتَّىٰ تكتمل دائرة الخداع والتَّضليل، وتنكشف الألاعيب الأمريكيَّة لاحظوا القسم الثاني من التَّصريح، فهو لن يسمح بسقوط الحكومة ولا مؤسسات الدَّولة، وسقوط الأسد أمرٌ غير مقبول... ومع ذٰلكَ يتابع بكلِّ وضوح قائلاً: «ولٰكنَّنا سنزوِّد المعارضة بأسلحة غير فتاكة»!!! وأضاف علىٰ نحو مستقلٍّ إضافةً ملفتةً وغريبةً جدًّا قال فيها: «يجب علينا تزويد المعارضة المعتدلة بالسِّلاح كي لا تسمح لغيرها بالزحف إلىٰ دمشق».

المعارضة المعتدلة التي تزودها أمريكا بالسِّلاح هي حَمَلَةُ وَحُمَاةُ ومنفِّذة المشروع الأمريكي بامتياز ومن دون شكٍّ، وسيبدو تفسير ذٰلكَ لاحقاً. فلماذا تريد أمريكا من حماة مشروعها حماية دمشق وعدم سقوط الأسد واستمرار القتال في وقت واحدٍ؟ كيف استطاعوا استيعاب هٰذه الخلطة العجائبيَّة التي لا تستقيم في عقل ولا ميزان؟

هل هناك أعجب من ذٰلكَ؟

هم يريدون بقاء بشار الأسد والنِّظام ويزودون المعارضة بأسلحة لمقاتلة النِّظام؟

هات اشرح لنا يا سيد بريطان: كيف (زبطت معك)؟.

النِّظام فَرِحَ بالقسم الأوَّل والمعارضة فرحت بالقسم الثاني. وكلاهما ظنَّ أنَّهُ وجاء بالذيب من ذيله وانتصر وانتهى إليه الظفر. في حين أنَّهُما كليهما وقع في

فخِّ استمرار الدَّمار، ونجاح أمريكا وحدها في مبتغاها علىٰ حساب سوريا الشَّعب والتَّاريخ والحضارة والماضي والمستقبل.

برينان، وقبله عشرات المسؤولين الأمريكان، مارسوا هٰذه اللعبة علىٰ مدار الثَّورة: العصا والجزرة، الترغيب والترهيب، الإغواء والإغراء... تبعاً لمعطيات كلِّ مرحلةٍ. ارجعوا وراجعوا: كلما تقدَّم النِّظام صعَّد الأمريكان والغرب التَّصريحات الدَّاعمة للثَّورة، وكلَّما تقدَّمت الثَّورة صَرَّحَ الأمريكان تصريحاتٍ تعطي المدد للأسد وتغريه بالتَّقدُّم والإصرار علىٰ المتابعة. ولا شك في أنَّهُ يترافق مع ذٰلكَ أنَّهُ كلما تقدَّم الأسد قدَّمت أمريكا لبعض الجيش الحر من الأسلحة والحوافز ما يجعلها تتقدَّم هي، وكلَّما تقهقر النِّظام قامت بمحاصرة الثَّورة ومنعها من التَّقدم وهٰكذا... اللعبة مكشوفةٌ مفضوحةٌ منذ زمنٍ ولا أحد يريد أن يدركها... للأسف.

نعم، ما زال أدعياء قيادة الثَّورة يقبلون بسهولةٍ أن يكونوا مضحكةً، وقد فرحوا بنصف هٰذا التَّصريح وحاولوا أن يوجدوا تخريجاتٍ للنِّصف الثَّاني.

تركوا كلَّ هٰذه التَّناقضات وتمسَّكوا بتلميحه بأن أمريكا ستدعم المعارضة بأسلحة غير فتاكة والأصح الأسلحة غير القاتلة!!!

تركوا كلَّ هٰذه التَّناقضات وتمسكوا بحكومةٍ تضم جميع الأطياف معتقدين أنَّها الخدمة المثلى للثَّورة وسوريا علىٰ ما فيها من خطورة...

لم يتوقَّف الأمر هنا.

في اليوم التَّالي خرج جون كيري وزير الخارجيَّة الأمريكي شخصيًّا ليؤكد تصريحات برينان ويعلن بوضوح قائلاً: «لا بُدَّ من دخول أمريكا في حوارٍ مباشرٍ

مع نظام الأسد». وأضاف لازمة الفتنة والتضليل: «ولٰكنَّ ذٰلكَ لا يعني أيَّ تغيُّرٍ في موقف واشنطن من الأسد».

وهات حلاًّ وتفسيراً يا مفسِّر الأحلام.

أوروبيون استنكروا وأوروبيون أيدوا والجميع في أرجاء العالم راح يبحث عن التفسير، وعن هٰذا التقدُّم الهائل في الخطاب الأمريكي باتجاه المصالحة مع النِّظام السُّوري وبشار الأسد. وأجمعوا، بمن فيهم أمريكان، علىٰ أنَّ كيري لا يقصد بشار الأسد بشخصه وإنَّما يقصد النِّظام. حَتَّىٰ صفعهم جون كيري نفسه في آخر اليوم بتأكيده أنَّهُ يعني الحوار مع شخص بشار الأسد.

طيب، وماذا نفهم من ذٰلكَ؟

أكرِّر لا جديد عندي في هٰذا الموضوع، فقد كتبت استلماحاً من السِّياسة الأمريكيَّة والتَّصريحات الأمريكيَّة علىٰ مدار السَّنوات الثلاث السَّابقة إنَّ أمريكا لا تريد رحيل النِّظام ولا رحيل بشار الأسد، ولا تريد انتصار الثَّورة.

فَرِحَ النِّظام السُّوري بهٰذه التَّصريحات وارتدت إليه الروح... فيما كان علىٰ وشك الانفجار. وظنَّ أنَّهُ انتصر علىٰ أمريكا وعلىٰ الثَّورة، ووقف بشار الأسد بزهوٍّ يفرض شروطه علىٰ أمريكا لقبول الحوار... ولم يعلق الأمريكان بشيء.

حسناً، أنا قلت وكررت مراراً علىٰ مدار سنوات الثَّورة «إنَّ أمريكا لا تريد انتصار الثَّورة ولا تريد سقوط النِّظام»، ولٰكنِّي لم أقل في مرَّة إن أمريكا تريد بقاء النِّظام. أمريكا لن تسمح للنِّظام أن يبقى إلا في ظرف استمرار القتل والتَّدمير والتَّشريد للإجهاز علىٰ كل سوريا وإخراجها من التَّاريخ والجغرافيا إلىٰ حين قبول

السُّوريين بحلِّ التَّفتيت الذي أشرنا إليه لأنَّ كل الحلول الأُخْرَىٰ لم تستطع أن تقنع المطالب الأمريكيَّة. وهي ليست مستعجلةٍ علىٰ شيءٍ لأنَّهَا ليست مضطرةً لشيءٍ ولا تدفع من جيبها شيء...

وفوق ذَلكَ كله، صحيحٌ أنَّ أمريكا تتحكم بقيادات الثَّورة إلىٰ حدٍّ كبير ولَكنَّهَا ليست من يقرر نهاية الثَّورة ولا نهاية الصِّراع، الكلمة التي كررها التَّاريخ كثيراً: تستطيع أن تبدأ الحرب متى شئت، ولكنَّك لا تستطيع إيقافها متى شئت. لا بقاء النِّظام مرتهن بالقرار الأمريكي ولا غيره، ولا انتصار الثَّورة مرتهن بقرار أمريكا ولا غيرها. السُّوريون وحدهم من سيضع الخاتمة مهما كانت الاختراقات والتَّدخلات والإملاءات.

الفصل الثالث عشر

أمريكا تستغبي المعارضة ولا ألومها؟

لا ألوم أمريكا في استغبائها المعارضة السُّوريَّة[٢٧]، نعم، لا ألوم أمريكا ولا الغرب في استغبائهم المعارضة السُّوريَّة واستحقارها والانتقال من مناصرة الثَّورة السُّوريَّة إلىٰ محاربتها.

نقطتان قبل البدء:

الأولىٰ هي أنَّ الموقف الغربي كان حقيقةً في الأشهر الأولىٰ مناصراً للثَّورة السُّوريَّة متعاطفاً معها.

(٢٧) .كتب لهذا المقال ونشر في الفترة ذاتها ٢٠١٥/٣/١٩م.

والثَّانية أني لا أريد التَّبحُّر في غباء المعارضة السُّوريَّة التي تنطعت لتمثيل الثَّورة، ولا لبلاهتها ولا لصوصيتها ولا استعراضها الأجوف، ولا عقد الزَّعامة ولا طعنهم ببعضهم بعضاً، فهٰذا بحرٌ يكاد يكون لا شواطئ له من كبره. أريد الوقوف فقط عند نقطةٍ واحدةٍ هي التَّعامل مع أمريكا وحدها دون سواها في إطار الثَّورة السُّوريَّة.

خلاصة تعامل المعارضة السُّوريَّة التي تنطعت لقيادة الثَّورة وتمثيلها أنَّ أمريكا تقول لهم: ثور، والمعارضة تقول: احلبوه. الثَّور هو المثل ولا أعني به أشخاص.

أعلنت أمريكا منذ بدء الثَّورة مئات المرَّات لا عشرات المرَّات أنَّها لن تسلِّح الثَّورة السُّوريَّة، وأنَّها لن تسمح بتسليح الثَّورة السُّوريَّة، وأنَّها لن تتدخل عسكريًّا لإنقاذ الشَّعب السُّوري ومع ذٰلكَ ظلَّت المعارضة علىٰ مدار سنوات الثَّورة تطالب أمريكا بالتَّدخُّل والسِّلاح وتنتظر التَّدخُّل وتقديم السِّلاح.

كيف تريدون من أمريكا أن تتعامل مع هٰذه البلاهة؟

قبل ذٰلكَ أتساءل: ما حقيقة هٰذه المعارضة في هٰذا السلوك الغبي؟

إنَّهُم في حقيقة الأمر، ما عدا استثناءات قليلة، ثلَّةٌ من اللصوص والأفاقين والمتسلقين المتشردين في شوارع العالم الذين ركبوا الثَّورة وراحوا يبيضون علىٰ السُّوريين الذي يعيشون في قلب البركان وتسيل دماؤهم أنهاراً. أدركوا حقيقة ألم السُّوريين وركبوا هٰذا الألم وعاشوا علىٰ حساب دمائه وعذاباته في فنادق الخمس نجوم، وساحوا في أرجاء العالم علىٰ حساب دماء السُّوريين وعذاباتهم، وأرادوا وما زالوا يريدون بقاء الثَّورة من أجل استمرار امتصاص دماء السُّوريين، ولذٰلك تآمروا مع مؤامرة الغرب علىٰ الثَّورة وعلىٰ سوريا وراحوا يبيضون كلَّ يوم

المناشدات بالتَّدخُّل وطلب السِّلاح وطلب الحظر الجوي... ليظهروا علىٰ أنَّهُم يقومون بدورهم في حثِّ المجتمع الدولي علىٰ دعم الثَّورة، وأنَّهُم لا يقصرون.

هٰذا في أحسن الظنون. لأنَّ الظَّنَّ الثَّاني هو أنَّهُم يتجاوزون ذٰلكَ إلىٰ البلاهة الحقيقيَّة والغباء الحقيقي وعدم فهم ما يدور، وعدم القدرة علىٰ استقراء ما هو كائن، فأضافوا إلىٰ مسوءة الفساد الفاجر مسوءة الغباء والبلاهة. وإلا كيف يمكن أن أفهم أنَّهُم علىٰ مدار أربع سنوات لم يدركوا مئات التَّصريحات الأمريكيَّة بعدم التَّدخُّل وعدم المساعدة وعدم التَّسليح بل عدم السَّماح بالتَّسليح؟! بل إنَّ أكثرهم صار يعترف في الفترة الأخيرة بافتقار الإئتلاف إلىٰ القدرة علىٰ الفهم والتَّخطيط والتَّفكير...

سيقول بعضهم بأنِّي أتجنَّى. وأنَّ أمريكا ظلَّت تعلن دعمها للثورة، وظلَّت تعلن رغبتها في التَّسليح وهلم جرًّا.

حسناً. أنا لن أختلق شيئاً غير موجودٍ. ولن أتجاوز الخبر إلىٰ تأويله. سآتي بسلسلة تصريحات نشرتها في أوقاها وتواريخها منذ أوَّل الثَّورة إلىٰ اليوم. ولأنَّهَا كثيرةٌ جدًّا سأقف عند محطَّات فقط بالتَّاريخ والشَّخص، وكلها مما نشرته وعلقت عليه في وقته وحينه ونبهت إليه وحذرت من مغبة تسليم الثَّورة لأمريكا وحلفائها. لن أعرض كلَّ التَّصريحات في جدُّ كثيرة جمعتها مع تحليلي لها وتعليقي عليها في سلسلة كتابي: الثَّورة السُّوريَّة والمؤامرة الكونيَّة، ولوحات من ألم الثَّورة. سأقف عند محطَّات سريعةٍ وخاطفةٍ من أوَّل الثَّورة إلىٰ أوائل عام ٢٠١٣م:

في ٢٠١١/٧/١٦م فيما أذكر: اجتمعت قيادات المعارضة بالسَّفير فورد في بيت حسن عبد العظيم بدمشق، وقال لهم حرفيًّا: «لا تتوقعوا أن تتدخل أمريكا لمساعدة الثَّورة».

في ٢٠١٢/٧/١٨م: قال الأمريكيون بوضوح «لن نتَّخذ أيَّ إجراء قبل نهاية الانتخابات الأمريكية» وفي هٰذا إشارةٌ صريحةٌ إلىٰ عدم التَّدخُّل، ولذٰلك علَّقت قائلاً: «ولن يتَّخذوا أيَّ إجراءات بعد الانتخابات... لم تفهم قيادات الثَّورة ذٰلكَ ولن تفهم».

في ٢٠١٢/١٠/١٠م: أمريكا وفرنسا تعلنان ضرورة تسليح المعارضة السُّوريَّة... وبعد يومين يعلنان أنَّ تسليحها يتنافى مع القوانين الدوليَّة.... تَكرَّر مثل ذٰلكَ بالحرف نحو عشرين مرَّةٍ علىٰ مدار السَّنوات الثَّلاث السَّابقة.

في ٢٠١٢/١٢/١٢م: هناك طبخة أمريكيَّة روسيَّة لفرض حكومة وفاق من النِّظام والمعارضة وبقاء كلِّ شيء علىٰ ما هو عليه. وعلقت علىٰ ذٰلكَ: «لم يتغير الموقف الأمريكي بالجملة... متى يفهم أدعياء تمثيل الثَّورة؟». طبعاً هٰذه الحكومة هي الحكومة ذاتها التي تريد أمريكا فرضها اليوم لتفتيت السُّلطة ولبننة أو عرقنة سوريا.

٢٠١٢/١٢/٢٨م: كتبت استقراءً: هناك مشاريع قذرةٌ أمريكيَّةٌ إسرائيليَّة أوروبيَّة وحَتَّىٰ دول عربيَّة كبرى ضالعةٌ في موضوع دفع سوريا نحو محاصصةٍ طائفيَّة وعرقيَّة... بالمناسبة، كتبت عشرات المرَّات في موضوع المشاريع الخارجيَّة لدفع سوريا نحو هٰذه الهاوية بناء علىٰ معطيات وقراءة ما بَيْنَ السُّطور.

في ٢٠١٣/٢/٩م: قال الرئيس أوباما: «لن نسمح بوصول أسلحةٍ نوعيَّةٍ للمعارضة تهدِّد أمن إسرائيل وأمريكا؟!». هٰذا الكلام لا يحتاج إلىٰ تفسير أكثر مما هو واضح فيه.

في ٢٠١٣/٢/٢٨م: جون كيري يقول: «لن نسلح المعارضة السُّوريَّة حَتَّىٰ يتمَّ تطهير الجيش الحرِّ من الإسلاميين»... أي حَتَّىٰ يقتتل الجيش الحر مع

بعضه ويترك النِّظام. هل تحتاج إلىٰ توضيح. وهٰذا ما يبدو اليوم بوضوح لا لبس فيه. من لم ير سابقاً لن يرى اليوم.

في ٢٠١٣/٣/٤م: جون كيري: «سنعمل علىٰ دعم المعارضة السُّوريَّة وعدم تسليحها». هٰذا ليس تصريحاً فيما يبدو، إِنَّهُ سؤال الترليون دولار في من سيربح المليون.

هٰذه محطَّاتٌ عابرةٌ سريعةٌ من محطَّات كثيرةٍ من الموقف الأمريكي علىٰ نحو خاصٍّ، من دون التَّعريج علىٰ تعامل هٰذه المعارضة مع مواقف الدُّول الأُخْرَىٰ قاطبة. فيها دلالات واضحةٌ علىٰ حقيقة واحدةٍ هي أنَّ أمريكا لن تتدخَّل ولن تساعد الثَّورة السُّوريَّة ولن تسمح بسقوط النِّظام إلا في ظلِّ شرطين أو أحدهما:

الأوَّل: أيُّ نظامٍ بعد الأسد يجب أن يحقِّق المصالح الأمريكيَّة الإسرائيليَّة بامتياز.

الثَّاني: فرض نظام حكم (تحاصصي غالباً) يمنع سوريا من أن تكون دولة قادرة علىٰ أي فعل لعشرات السنين.

تيقنتْ أمريكا مبكراً لأسبابٍ كثيرةٍ من تعذُّر تحقُّق الشَّرط الأول فركَّزت مبكِّراً علىٰ الشَّرط الثَّاني وراحت تخطِّط بهدوء له وما زالت تسير علىٰ طريق تحقيقه.

المهم من ذٰلكَ كله أمران فيما يخص الإطار الذي نتحدث فيه:

الأوَّل: أنَّ أمريكا كانت واضحةٌ صريحةً منذ البداية في موقفها من الثَّورة والنِّظام، ولم تخدع أحداً أبداً، ولٰكنَّ قيادات الثَّورة السُّوريَّة السِّياسيَّة والعسكريَّة هي التي أصرت علىٰ عدم الفهم والتَّمسح بالحذاء الأمريكي بإلحاحٍ شديدٍ طلباً لما أعلنت أمريكا مراراً أنَّها لن تقدِّمه. ولذٰلك اضطرت الولايات المتحدة بَيْنَ الحين والحين إلىٰ تصريحاتٍ مواربةٍ وخداعٍ وضحكٍ علىٰ اللحىٰ من قبيل:

سنسعىٰ... سنسلح المعارضة بأسلحةٍ غير قاتلةٍ، سندعم الثَّورة مساعدات فنيَّة من قبيل أفلام كرتون... كلُّه مسخرة بمسخرة اقتضتها، ما عدا طبيعة السِّياسة الأمريكيَّة، بلاهة قيادات الثَّورة وعلىٰ رأسها الإئتلاف.

الثَّاني: هٰذا الغباء نفسه أتاح لأمريكا التَّخطيط كما تريد لتحقيق مصالحها ومشروعها من تقدُّم الثَّورة وتقهقرها والسَّيطرة علىٰ الجيش الحرِّ أو ما تسميه المعارضة المعتدلة وَفْقَ مسلسلٍ طويلٍ ما زالتْ في بدايته لأنَّهُ حَتَّىٰ الآن لم تفلح في تكوين جيش سوري مرتزق تعتمد عليه. نجحت في اختراق الجيش الحر، وتكوين خلايا وتشكيلات صغيرة، ولٰكنَّهَا كلها غير قادرةٍ وليست مضمونةً. وأمريكا تدرك هٰذه الحقيقة، ولذٰلك تظلُّ تنغِّم علىٰ ضرورة بقاء الأسد، وأخيراً دخول أمريكا في حوار مع الأسد.

المسلسل طويلٌ أليمٌ. صريحُ ما أردت قوله، وما أريد أن أختم به، أنِّي أتوجَّه باللوم والاتهام والإدانة إلىٰ الأدعياء الذين قادوا الثَّورة في غفلة من الشَّعب السُّوري وضرورة اقتضها المرحلة... هم المسؤولون عن إطالة أمد الثَّورة وضياع والفوضى والعبثية التي وصلت إليها الثَّورة وسوريا.

ويجب أن يدرك كل من يقرأ أنَّ إدانتي لقيادات الثَّورة لا تعني أبداً أني أدافع عن النِّظام ولا أبرئه، بل أحمله المسؤولية الأولى، لأَنَّهُ لولاه لما وصلت الأمور إلىٰ ما وصلت إليه.

الفصل الرابع عشر

هل بدأ البركان بالانفجار؟

هل بدأ انفجار البركان[٢٨]؟

في أواخر العام الماضي صدر كتابي الذي حمل عنوان: العالم علىٰ فوهة البركان. الذي تنبئت فيه بمتابعاتٍ علىٰ مدار أكثر من عامين تحديداً، بعيداً عن تراكمات الماضي القريب والبعيد، بأنَّ العالم يجثو علىٰ فوهة بركان سينفجر. سينفجر حتماً لم تتدخل عناية إلهية وتلهم الجميع التصرف الذي يضع حدًّا لهٰذا التهور والتدهور.

نقطتان بني عليهما الكتاب:

(٢٨) .كتب لهٰذا المقال ونشر في الفترة ذاتها ٢٠١٥/٣/٢٨م.

أولاهما إنَّ كلَّ ما نشاهده من مظاهر الغليان العالميِّ ليس إلا ممهدات للانفجار الكبير الذي لا مفرَّ منه إذا استمرَّ سير الأمور علىٰ منوال ما هي عليه وتحديداً في التَّعامل مع الثَّورة السُّوريَّة.

الثَّانية أنَّ الثَّورة السُّوريَّة هي فتيل انفجار البركان هٰذا. ليس لسببٍ واحدٍ وإنَّمَا لأسبابٍ كثيرةٍ. فقد كشفت الثَّورة السُّورية عورات الجميع، ودفعت الجميع إلىٰ الوصول إلىٰ أقصى درجات التَّعري والوقاحة في التَّعري، الأمر الذي قاد تدريجيًّا وبسرعةٍ كبيرةٍ إلىٰ فرز خطيرٍ علىٰ مختلف المستويات السِّياسيَّة والاجتماعيَّة والدِّينيَّة والعرقيَّة.

لن نقول إنَّ البركان بدأ بالانفجار، ولٰكن الآن، نتساءل: هل بدأ البركان بالانفجار؟

الانفجار في حقيقة الأمر لم يحدث بعد، ما زلنا عتبة (أول الرقص حنجلة). وفرص التراجع محدودة جدًّا، لا تصل إلىٰ الصِّفر ولٰكنَّهَا تشبهه كثيراً.

لن نذهب بعيداً، ولن نوسِّع دائرة الضَّوء، تكفينا الدَّائرة العربيَّة والمرتبطة بالثَّورة السُّوريَّة ارتباطاً ما غير قليل. هناك دوائر أُخْرَىٰ ولٰكن الدائرة العربية هي الفتيل الأساسي في ظل المعطيات والظروف الراهنة.

مدخل أوَّل: فقط وفقط عندما قال الشَّعب العربي: لا للظلم، لا للفساد... اكتشفنا أنَّهُ يوجد طائرات عسكريَّة عربيَّة خارقة، وصواريخ حارقة، ومدافع عملاقة، وجيوش جرَّارة قادرة علىٰ التَّحرير والاحتلال والتَّقدم والمناورة...

كم قلنا لكم إنَّ الشَّعب العربي عظيم، ولٰكنَّكم لم تصدقوا. دلالة هٰذا الأمر في هٰذا السياق خطيرة في حقيقة الأمر، وليست عابرة.

مدخل ثاني: الثَّورة السُّوريَّة منذ أربع سنوات وهي تستنجد بالعرب ولا حياة لمن تنادي. بينما الرَّئيس اليمني استنجد بهم فلبوا طلبه بعد ست ساعات وقصفوا المتمردين وأعلنوا بداية الحرب عليهم...

يعني مثلاً، إذا طلب الرئيس بشار الأسد النَّجدة من العرب فبعد كم ساعة ستكون التلبية وتقوم الدُّول العربيَّة بقصف مواقع الثورة وإعلان الحرب عليها؟؟؟

هٰذا المدخل أيضاً له دلالاته الخطيرة في هٰذا السياق، ولا نعرج هنا علىٰ الموقف الدولي من الثورة السوريَّة وما فعله علىٰ هٰذا الصعيد، فقد كتبت فيها الكثير منذ سنوات.

مدخل ثالث: في الأشهر الأخيرة كبر الرَّأس الإيراني أكثر بكثير مما يستحق. العرب متخاذلون وساكتون علىٰ كلِّ ما تقوم به إيران وعلىٰ كلِّ تصريحاتها الاستفزازية. فتمادت إيران أكثر وأكثر في تصريحاتها الاستفزازية، وتمادت أكثر وأكثر في سلوكها وتوغلها في الأرض العربيَّة، وكبر رأسها أكثر وأكثر فراحت تهدِّد يميناً وشمالاً وكأنَّهَا إمبراطورية هارون الرشيد، أو إمبراطورية جورج بوش الصغير.

نتيجة أولى: بدا فيما يبدو للنائم في المنام أنَّ العرب انتفضوا اليوم (٢٠١٥/٣/٢٦م) وقاموا بضرب مدلل إيران المتمادي في اليمن أي الحراك الحوثي. هٰذه الضربة في حقيقة الأمر علىٰ الرَّغْمِ مما قد تجر إليه، فإنَّها لم تكن أبداً لردع عدوان إيران وربيبها علىٰ الشَّرعيَّة اليمنيَّة، وإنما كانت لأنَّ الاستفزاز

الإيراني للسعودية والخليج العربي، والتحقير الإيراني لهم، قد بلغ من المدى ما لا يمكن السكوت عليه أمام شعوبهم.

ولذلك لا أعتقد أبداً بأنَّ الحرب التي شنتها السُّعودية تحت مظلة تحالف إسلاميٍّ علىٰ الحوثيين يمكن أن تؤدِّي إلىٰ نتيجة، الخليجيون يريدون النِّهاية السَّريعة بأيِّ طريقةٍ. ولكنَّ إيران وربيبها الحوثي لا يريدون ذَلكَ، فالضربة الخليجية للحوثيين كانت رسالةً، ولٰكنَّ الحوثيين وإيران ماضون، ماضون فإيران لا تخسر شيئاً إن لم تربح من هٰذه المعركة والعرب سيخسرون كلَّ شيءٍ حسبما تتصور.

تركيا لم تقف علىٰ الحياد ولا باكستان. الباكستان شاركت رسميًّا في الضربة، وأردوچان طالب إيران بسحب قواتها من الدَّول العربيَّة: من سوريا والعراق واليمن. بل إنَّ تركيا لم تصمت علىٰ التَّهديد عندما طالها، ففي اليوم التالي نفسه من أوَّل تهديد إيراني لتركيا أعلن أردوچان، في رسالة إلىٰ إيران، أنَّ الجيش التركي سيكون أقوى جيش في العالم قريباً. ولٰكنَّ السُّعودية والطَّرف العربي لا يريد إعطاء تركيا فرصة، فلم يطلبوا منها المشاركة، وعلىٰ الرَّغْمِ من ذَلكَ أعلن أردوچان جاهزيَّة تركيا للمساهمة.

نتيجة ثانية: بداية الضربة كانت في أخوار ليل ٢٠١٥/٣/٢٥م، عندما صحا الإيرانيون من النوم، كالعادة فيما يدرجونه تحت باب الدَّهاء السِّياسي، بدأ الاحتجاج من برلماني إيراني قائلاً صباح ٢٠١٥/٣/٢٦م: «نار الحرب التي أطلقتها السُّعودية علىٰ اليمن ستطال المنطقة»، علىٰ أساس أنَّ نار الاحتلال الإيراني للمنطقة ستجلب لها السَّمن والعسل وراحت أيام الخبز اليابس والبصل.

وما هي إلا أقل من ساعة حَتَّىٰ خرجت علينا الخارجية الإيرانيَّة بأول تصريحاتها قائلة: «إنَّ توجيه ضربات لليمن تحرُّكٌ خطيرُ جدًّا يتناقض مع القانون الدولي». علىٰ أساس، أيضاً، أنَّ التَّحرُّك الإيراني في اليمن والعراق وسوريا خدمة وتطبيق للقانون الدولي.

الدهاء السياسي الإيراني طاش صوابه، فقد دخلت إيران علىٰ مختلف مساوياتها في حالة جنون تصريحات. فقد بدأت تتصاعد وتيرة التصريحات الاحتجاجية الإيرانية ضد (التدخل الخارجي) في اليمن من برلماني بدايةً إلىٰ وزارة الخارجيَّة إلىٰ إعلاميين وساسة قدماء وصولاً اليوم إلىٰ وزير الخارجيَّة ذاته الذي يدعو ويطالب بوقف العمليات العسكرية وإيقاف العدوان الخارجي علىٰ اليمن، علىٰ اليمن وليس علىٰ المتمردين. العدوان بالنِّسبة لإيران هو عدوان علىٰ اليمن.

والرَّئيس الإيراني حسن روحاني لم يهدأ طوال الليل من انشغاله بالاتصال بكلِّ القادة الكبار في العالم: الأمريكي والبرطاني والروسي... من أجل إيقاف (العدوان الخارجي) علىٰ اليمن.

هل رأيتم أحرص وأخلص من إيران لرعاياها ومواطنيها؟! إيران لا ترى نفسها طرفاً خارجيًّا ترى أنَّ اليمن وسوريا والعراق جزءاً منها، وإلا كيف نفهم أنَّ تدخلها في سوريا والعراق واليمن والبحرين والإمارات ليس تدخُّلاً خارجيًّا؟!

وماذا بعد؟

لا يمكن القول إنَّهَا تسريبات. مثل هٰذا الأمر لا يتسرب لأنَّهُ لا يمكن أن يَخفى، فقد تداولت مواقع التواصل الاجتماعي وبعض مواقع الإنترنت نقلاً عن رويتر أنَّ بوارج حربيَّة روسيَّة وسفن حربيَّة إيرانيَّة

غادرت موانئها العسكرية متجهةً إلىٰ مضيق باب المندب. وهي أصلاً موجودة هناك.

وفي حين أنَّ التَّصريح الرسمي للخارجيَّة الروسيَّة هو أملها بوقف العمليات العسكريَّة في اليمن لأنَّها لا تؤدِّي إلىٰ نتيجة، فإنَّ ثَمَّة أخبار تقول بأنَّ روسيا حذَّرت دول الخليج من التَّدخل في اليمن وأنَّها إذا لم توقف الحرب خلال ٢٤ ساعة القادمة فإنَّ روسيا ستوقف الحرب بالقوَّة.

أمَّا التهديد الإيراني لدول الخليج فهو وإن لم يظهر جليًّا في التَّصريحات التي ألمحنا إليها فإنَّهُ يظهر بَيْنَ السُّطور. وثَمَّة أنباء عن قيام إيران فعلاً بتهديد أو تحذير السعودية ودول الخليج من مغبة الاستمرار في الضربات الجويَّة. ومن الطَّبيعي في هٰذا السِّياق أنَّ تهدد وبشدَّة أيَّ عدوان علىٰ سفنها الحربية الموجودة في المنطقة، ذٰلكَ أنَّها كما تشير المعطيات تنوي إغلاق أو إعاقة خط الملاحة البحرية في مضيق باب المندب، والمضيق اليوم ٢٠١٥/٣/٢٧م في حالة إغلاق. ولذٰلك صعَّدت إيران لهجة التَّهديد ضدَّ السعودية بأنَّ أي عدوان علىٰ سفنها الحربية يعني دخول إيران في الحرب دخولاً مباشراً.

الولايات المتحدة الامريكية كما تقول رويتر لم تقف مكتوفة الأيدي، لما يمثله مضيق باب المندب من أهمية استراتيجيَّة لها، فقد حذَّرت روسيا وإيران من مغبة التَّدخل في اليمن، وأعلنت أنَّ إغلاق مضيق باب المندب من قبل القطع الحربيَّة الإيرانيَّة هو إعلان حرب علىٰ إيران، لأنَّ الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة الايدي في حال تضرُّر خطوط حركة النَّقل البحري وخسائر في الاقتصاد

العالمي ولهذا يجرُّ المنطقة إلىٰ حربٍ عالميَّة ثالثةٍ في حال تضرُّر المصالح الامريكيَّة في المنطقة.

قبل أيام من الضربة الجوية للحوثيين كتبت: «بفضل حكام العرب أثمر الرَّبيع العربي مجداً فارسيًّا».

لا نعدد الأخطاء والجرائم التي ارتكبتها الأنظمة العربيَّة في سوريا ومصر والعراق وليبيا وتونس وغير ذلك. لنقف فقط عند اليمن بؤرة التوتر الآن.

الرئيس اليمني (المخلوع) علي عبد الله صالح يخلع اليمن، ينتقم من اليمن واليمنيين لأنَّهُم أزاحوه عن السلطة، حَتَّىٰ إِنَّهُ لم يشف غلَّه بعد من الانتقام لأنَّ البوادر ما زالت في أوائلها.

المهم في الأمر مسألتنان، الأولى أنَّ علي عبد الله صالح ليس ظاهرةً نشازاً، علي عبد الله صالح هو أيُّ حاكم عربي، وهل ما فعله مبارك أقلُّ منه لأن الشَّعب أزاحه عن السلطة؟

ثانيهما أنَّ السُّعودية هي التي أوصلت اليمن إلىٰ هٰذا الوضع. كلُّ ما هو قائمٌ اليوم هو النَّتيجة الطَّبيعية للمبادرة الخليجيَّة التي كانت سعوديَّةً خالصةً بتأييد خليجيٍّ من أجل القضاء علىٰ الثَّورة. هي التي فرضت الصُّلح بَيْنَ الثَّورة والنِّظام، وهي التي فرضت الضَّمانات للنظام بهٰذه الطَّريقة التَّدميريَّة للدولة:

هل يعقل أنَّ هناك ألوية عسكرية كاملة تابعة للدَّولة وتحت سيطرة علي عبد الله صالح وهو رئيس مخلوع؟ وبهذه الألوية استسلمت اليمن للحوثيين؟؟ ولهٰذه الألوية تحارب الدَّولة اليوم؟؟؟

كلُّ شيءٍ يقول إنَّ البركان سينفجر، إن أمكن استيعاب فورانه في اليمن فإنَّ له ألف بؤرة وبؤرة. وكلما زاد الغرب في غبائه جعل البركان أشد انفجاراً وأقرب أكثر فأكثر... فيما أرى ليس ما نراه حَتَّىٰ الآن إلا مقدمات وتسخين. كما قلت في مقال منشور منذ نحو سنتين: أي هدنة، أو برود، أو فتور... لا يعني أن الأمور استقرَّت، الحسم لصالح طرف فقط هو الذي يضع حدًّا.

الفصل الخامس عشر

التناقض الأمريكي يصل للذروة

تناقضات السياسية الأمريكية ليست بالجديدة أبداً[٢٩]، منذ تصاعد الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي إثر الحرب العالمية الثانية بدت للمتابعين والمهتمين تناقضات السِّياسة الأمريكيَّة. علىٰ أيِّ حال كانت تناقضات تتراوح حول سياق المقتضى لا تتجاوزه كثيراً فيما يخص العلاقات الغربيَّة الغربيَّة والغربيَّة الشَّرقيَّة ما عدا العالم العربي والإسلامي. العالم العربي والإسلامي استراتيجيا مستقل في السياسة الأمريكية خاصَّة والغربيَّة عامَّة مرسومة المعالم منذ القرون

(٢٩) .كتب لهذا المقال ونشر في الفترة ذاتها ٢٠١٥/٤/٦م.

الماضية وآخر تتويج وإعادة بناء لهٰذه الاستراتيجيا كان في مؤتمر كامبل بنرمان عاك ١٩٠٧م، وكل ما بعد هٰذا العام ليس إلا تنويع عزف علىٰ أوتار هٰذا المؤتمر.

لا أريد الحديث هنا عن العوار العربي والتهالك العربي وكيف رهن القادة العرب الأمة خادماً لأمريكا وحلفها منذ الحرب العالمية الثانية إلىٰ اليوم، ولا أريد تسويغ استخفاف أمريكا بالعرب بسبب العرب أنفسهم، وهٰذه حقيقة. ولا أريد الاستفاضة في الحديث علىٰ التَّناقضات الأمريكيَّة في الشأن العربي والإسلامي؛ كل ذٰلكَ تقريبا كتبت فيه عشرات المقالات والأبحاث علىٰ مدار نحو ثلث القرن وكلها منشورة في كتبي الكثيرة في هٰذه الموضوعات.

أقف عن مشهد استكمالي في تصاعد هٰذه التناقضات إلىٰ الانكشاف والانفضاح التام تقريباً. كانت هٰذه التناقضات مستورة بورقة التوت أحياناً وأحياناً بخرقة قنب سميكة، ولٰكنَّهَا منذ أشهر طفح الكيل بها ولم تعد قادرة علىٰ الاستتار أبداً، وصارت تمارس تناقضاتها بوضوح من دون حياء أو خجل، ومن دون خوف بطبيعة الحال.

مشهد اليوم هو اللقاء الصحافي الذي أجرته أمس ٢٠١٥/٤/٥م جريدة النيويورك تايمز الأمريكية مع الرئيس الأمريكي باراك أوباما. اللقاء طويل يعنينا منه ما يخصنا من نقاط تجلت في ثلاث رئيسية.

الكلمة الذهبية التاريخية في هٰذا اللقاء وهي أجمل ما فيه هي شعوره بخيبة الأمل من العرب الذين ينتظرون منه الإذن والتوقيع علىٰ أيِّ فعل عليهم أن يقوموا به. وتساءل عن السبب في عدم قيام العرب بعملٍ ما لوقف انتهاكات حقوق الانسان التي يرتكبها نظام بشار.

أوباما تبرم ضجراً وأسفاً من القادة العرب الذين لا يفعلون شيئاً إلا بإذنه. ويا خوفي يا خوفي من السنين الماضية وما كان يصير فيها... لست أخشى بل أنا شبه متأكِّد من أن الزعماء العرب فلقوا رأس الإدارة الأمريكية في عشرات السنين الماضية بالاستشارات وطلب الإذن حَتَّىٰ رُبَّما فيما يدور في غرف نومهم. وما يلي ذَلكَ من إيكو وتحليل بول ودم وتحديد جنس المولود... يعني من الآخر يا سادة أنَّ كلَّ السَّادة أولاد القادة العرب جاؤوا بقرار أمريكي...

علىٰ أي حال، من هٰذا التبرم استنتج المحللون السياسيون الفطاحم أنَّهُ لم يعد هناك مجالٌ للشَّك قفي أنَّ عاصفة حزم ثانية ستطلق علىٰ بشار ومؤيديه... وليس هٰذا فحسب بل إنَّهَا ستكون مدعومةٌ من الولايات المتحدة والغرب. واستطرد أكثرهم قائلاً: «هٰذا كلامٌ دبلوماسي لا تفسير آخر له إلا أن افعلوا ما عليكم فعله لوقف براميل بشار ولا تنتظروا أوامر منا».

الاستقراء سليم من جهة المبدأ. فما دخل أمريكا وما مصلحتها في التدخل في سوريا؟ لا الأرض أرضها ولا الأهل أهلها ولا هي تخسر شيئاً مما تخسره سوريا، فلماذا تدحش نفسها في خسائر لا ناقة لها فيها ولا جمل.

من جهة ثانية هي رسالة إلىٰ العرب أن اقلعوا شوككم بأيدنا وحلوا عنا. أيعقل أن لا يحرل العرب مشاكلهم إلا بإذن أمريكي وقرار أمريكي؟ شيء يدعو إلىٰ الضجر.

ولٰكن من جهة ثالثة هٰذا الكلام سخيفٌ ومتناقض. هل أذكر السيد أوباما بتصريحه هو ذاته في ٢٠١٣/٢/٩م: الذي قال فيه: «لن نسمح بوصول أسلحةٍ نوعيَّةٍ للمعارضة تهدِّد أمن إسرائيل وأمريكا؟!». أم أذكره بعشرات

التصريحات بتسليح الثورة السورية بأسلحة غير قاتلة، هٰذا اللغز الذي حير علماء الفلك والتَّنجيم بعد أن تمزقت أغشية المنطق وهي تحاول أن تفهم كيف يقاتل جيش بأسلحة غير قاتلة!!! أم أذكره بالممارسة الأمريكية الفعلية في مصادرة الأسلحة المرسلة إلىٰ الجيش الحر، ومنع وصول أي سلاح نوعي للثورة السوريَّة؟!؟!

هل هي عودة إلىٰ الضَّمير أم هي استمرار في القتل والتخريب والتدمير؟

إذا تذكرنا تصريحا بريتان وجون كيري منذ شهر في عدم السماح بسقوط الأسد، وضرورة قيام أمريكا بالتحاور مع الأسد فإنَّ هٰذا الضوء الأخضر الأمريكي هو جر إلىٰ المنطقة الملعب الأحمر. جر العرب والمسلمين إلىٰ حرب داخلية وتحييد الشيعة عن المواجهة التي تورطوا بها في المنطقة. وعندما تشتعل عاصفة حزم ثانية سيكون لها من الوقود ما يجعلها تدوم عشرات السنين، وإن لم يكن فستكون عاصفة حزم ثالثة ورابعة وتتحول الدول العربية بنشوة الحزم إلىٰ ديك يستعرض كل يوم في مكان علىٰ مزابل المنطقة... فقط علىٰ مزابل المنطقة وليس علىٰ أي عدو خارجي كما يرجو الكثيرون أو يتوقعون.

هنا ننتقل إلىٰ النُّقطتين الثَّانية والثَّالثة. قال أوباما في هٰذه اللقاء تعقيباً علىٰ الاتفاق النَّووي الأمريكي الإيراني، تطميناً للحكام الخليجيين وحسب وليس العرب: «إنَّ إيران لا تشكل خطراً علىٰ دول الخليج، الخطر الذي تواجهه دول الخليج هو من شعوبها». شعوب المنطقة هي التي تشكل خطراً علىٰ المنطقة!!!

تعبير لم نسمع مثله إلا من بشار الأسد والنظام السوري الذي رأى الشعب خطراً علىٰ الدولة، خطراً علىٰ سوريا. لأول مرة في التاريخ كله يكون الشعب هو الخطر. عبر التاريخ هناك فئات، أقليات، شراذم... تشكل خطراً

علىٰ الشعب، خطراً علىٰ الدولة، خطراً علىٰ النظام... أما أن يكون الشعب هو الخطر علىٰ الشعب فهٰذا ما لم ينزل الله به سلطاناً.

أمَّا إذا الشعب يشكل خطراً علىٰ السلطة فلا يمكن لمنطق أبداً أن يقبل أو يقتنع إلا بأن السلطة كلها خلل... ولذلك كان الشَّعب خطراً عليها. من غير المعقول ولا المقبول أن يكون الشعب هو الخطر والسلطة هي الصواب مهما بلغ الشعب من الجهل.

إذا كلام أوباما واضح تماماً في مضمونه. الشعب يشكل خطراً علىٰ الأنظمة، والشعب الذي يشكل خطراً علىٰ الأنظمة سيشكل خطراً علىٰ حماة هٰذه الأنظمة أي أمريكا وثلاث نقط. ومن ثمَّ فإنَّ الأنظمة تسير عكس المنطق وعكس مصالح الشعب. ولا يحتاج ذٰلكَ إلىٰ دليل.

هنا تأتي النقطة الثالثة التي قال فيها: «سنجري مفاوضات مع شركائنا الخليجيين ونقدم لهم الدعم لمواجهة أيِّ عدوانٍ خارجيٍّ».

حسناً، إذا كانت إيران ليست عدوًّا كما قرَّر السيد أوباما. فمن هو العدو الخارجيُّ يا ترى؟

لننظر في المحيط سنجد إسرائيل. هل يعقل أن أمريكا ستدعم الخليج ضد إسرائيل؟ التفكير في أمر كهذا لا يثير السُّخرية وحسب بل يثير الاشمئزاز. محضُ التَّفكير في ذٰلكَ يثير الغثيان. هٰذا الأمر خارج كلِّ أنواع الحسبان بالضَّرورة المنطقيَّة والتاريخيَّة والواقعيَّة والمستقبليَّة.

حسناً، هل يعقل أن تكون دول عربيَّة أُخْرَىٰ؟!

أمرٌ غير قابلٍ للتَّصديق، ليس لعدم وجود نوايا وإنَّما لعدم وجود الكفاءة ولا القدرة، ناهيكم عن النِّيَّة أو الرَّغبة.

إذن من يكون هٰذا العدو الخارجي الذي يعد السيد أوباما أن يقف ضدَّه مع شركائه الخليجيين؟

من المؤكد أنَّهُ لن جزر القمر ولا جيبوتي ولا الصومال ولا الدول العربيَّة ولا الدول الإفريقية وبالضرورة لا ترى ترى أمريكا نفسها عدوًّا خارجيًّا ودول أوروبا التي لا يمكن أن تقف أمريكا ضدها مع دول الخليج...

هل نحن أمام لغز معقد إلىٰ هٰذه الدرجة؟

بعد التَّصعيد العربي تجاه تركيا ومخاوف الأنظمة العربيَّة من نجاح الإسلام السِّياسي في تركيا، وهي مخاوف مشتركة مع الغرب وعلىٰ رأسه أمريكا، وتعزز ذَلكَ إثر المواقف التركية الحازمة في السَّنوات الأخيرة، وإذا قاطعنا ذَلكَ مع الممارسات وإبداء المخاوف سرًّا من تصاعد الدور التركي في المنطقة فإنَّهُ يبدو لي أنَّ العدو الخارجي المقصود والموحى به هو تصاعد الحضور التركي والدور التركي في محيطها الإقليمي.

الفصل السادس عشر

مخيم اليرموكاني والنفاق الدولي

ما لا يخطر في البال ولا يخرط خطر اليوم ٢٠١٥/٥/٩م عندما طالبت منظمة التَّحرير الفلسطينيَّة من النِّظام السُّوري أن يدمر مخيم اليرموك علىٰ رؤس ساكنيه[٣٠]...

وجاء في البيان: إننا نطالب الرئيس الأسد أن يعامل المخيم مثل أي منطقة سوريَّة.

(٣٠) .كتب هٰذا المقال يوم البيان ٢٠١٥/٥/٩م، ونشر في الفترة ذاتها.

هٰذا البيان والطلب لا يمكن أن تجدوا مثله في تاريخ البشر علىٰ الإطلاق، ولا في تاريخ عالم الحيوان بطبيعة الحال. بغض النظر عن أي اعتبار وعن أي تحليلات مهما كانت طريَّة أو قاسية. لا يمكن أن تجدوا في تاريخ البشر أن تطلب سلطة من قيادة دولة أُخْرَىٰ أن تدمر منطقة علىٰ سكَّانها، ويزيد الطِّين بِلَّةً إدراك السُّلطَة الفلسطينيَّة وإقرارها بأن النِّظام السُّوري يقود حملة وحشيَّة علىٰ مواطنية ولا يحارب الإرهاب كما يزعم ويزعمون، بدليل قولهم: نطالب الرئيس الأسد أن يعامل المخيم مثل أي منطقة سوريَّة!!! فماذا يعني ذٰلكَ؟ ألا يعني اعترافاً بأن النِّظام يحارب شعبه؟!

حسناً، مخيم اليرموك منطقة سوريَّة يسكنها الفلسطينيون، وهٰذا المخيم محاصر منذ سنتين وأكثر، ومنذ سنتين وأكثر وهو يتعرَّض للقصف إلىٰ جانب القتل جوعاً. ماذا فعلت منظمة التَّحرير الفلسطينيَّة؟ وما التَّصريح الذي صدر عنها؟

لماذا فقط عندما دخلت الدَّولة الإسلاميَّة إلىٰ المخيم الأطراف كلها بقضها وقضيضها تناشد العالم التدخل لإنقاذ المخيم؟ لماذا طالبت السُّلطَة الفلسطينيَّة بتدمير المخيم علىٰ رؤوس ساكنيه اليوم؟

ليس منظمة التَّحرير الفلسطينيَّة وحدها التي أصابها العلع والفزع والخوف والجزع علىٰ مخيرم اليرموك فقط عندما دخلت إليه الدَّولة الإسلاميَّة. لقد بدا أننا أما فوبيا جديدة شبيه بفوبيا عين العرب كوباني، اسمها فوبيا مخيم اليرموكاني: أمين القلق الدَّولي العالم طار من عينيه المنام وهو يقلق علىٰ مصير المخيم ويناشد بإنقاذ المخيم، الاتحاد الأوروبي، الجامعة العربيَّة... تكاد تتكرر نسخة فوبيا عين العرب كوباني مع مخيم اليرموك... فقط لأنَّ الدَّولة الإسلاميَّة دخلت إليه.

الأمر مثيرٌ للريبة مهما كانت الذَّرائع التي وقفوا وراءها. أين كنتم جميعاً طوال نحو السنوات الثلاث السَّابقة من الحصار والقصف والاقتحام والتَّجويع حَتَّىٰ الموت جوعاً؟!

والسُّؤال الذي يفرض ذاته:

إذا كانت منظمة التَّحرير الفلسطينيَّة، أي السُّلطَة الفلسطينيَّة في حقيقة الأمر، حريصة علىٰ أرواح الفلسطينيين وتنسق مع النِّظام كما يبدو فلماذا لم تطلب من النِّظام السَّماح للفلسطينيين بالخروج من المخيم؟

كيف يمكن أن نفهم هٰذا التناقض؟

السُّلطَة باسم منظمة التَّحرير تطلب من النِّظام القضاء علىٰ الفسطينيين بتدمير المخيم علىٰ رؤوسهم، أي تطلب منه قتلهم بلا شفقة ولا رحمة. لماذا؟

هل خوفاً من أن تقتلهم الدَّولة الإسلاميَّة مثلاً؟

حَتَّىٰ لا تقتلهم الدَّولة الإسلاميَّة تطلب السُّلطَة قتلهم علىٰ يد النِّظام؟ ما هٰذا؟

حقيقة الأمر مربكٌ للفهم. الخيارات المفتوحة أمام السُّلطَة/ منظمة التَّحرير، فلماذا تختار هٰذا النِّفاق بل هٰذه الوحشيَّة في التَّعامل مع الفلسطينيين؟

مثل هٰذه الأسئلة نتوجه بها إلىٰ المجتمع الدَّولي القذر ولا يستحق وصفاً أقل من ذٰلكَ. لن نسأل الأمم المتَّحدة غير الميمونة ولا المجتمع الدَّولي غير الممنون عن سبب عدم وقفوهم مع الشَّعب السُّوري في مأساته الأفظع تاريخيًّا.

المخيم كما أشرنا محاصر حصاراً مطبقاً من أكثر من سنتين، ومع ذٰلكَ لم يتحرك ضمير الأمم المتحدة تجاه الفلسطينيين المحاصرين في المخيم أي نوع من التحرك، لماذا فقط عندما دخلته الدَّولة الإسلاميَّة استنفرت الأمم المتحدة

والمجتمع الدَّولي هٰذا الاستنفار ويعزمون علىٰ إرسال المندوبين لحل مشكلة المخيم وتقديم المساعدات للنِّظام لاجتياح المخيم ولا أعرف ماذا يدور في الخفاء أيضاً في هٰذا الشَّأن؟

لن نسأل عن سبب عدم التحرك تجاه أي منطقة سوريَّة، ما عدا عين العرب كوباني، سواء بسبب النِّظام أو بسبب الدَّولة الإسلاميَّة حَتَّىٰ لا يقال هٰذا حال وهٰذا حال. نسألكم فقط: الفلسطينيون هم أنفسهم أنفسهم المحاصرون منذ نحو ثلاث سنوات أقسى أنواع الحصار، لماذا هززتم ذيل ضميركم فقط عندما دخلته الدَّولة الإسلاميَّة علماً أن هٰذا الدخول قد يكون لصالح كسر الحصار عن المخيم والفلسطينيين؟!

ألا يبدو ذٰلكَ خوفاً من دخول الدَّولة الإسلاميَّة إلىٰ دمشق وتهديد أمن النظام في معقله الأساس؟

لا يمكن أن يفهم الأمر إلا في هٰذا السِّياق. وقد أثبتت السُّلطة الفلسطينيَّة ذٰلكَ بصريح طلبها عندما طالبت الأسد بتدمير المخيم علىٰ رؤوس ساكنية لقطع دابر اقتراب الدَّولة الإسلاميَّة من دمشق، فلو كانت حريصة علىٰ الفلسطينيين لكانت لها مطالب أُخْرَىٰ منها إخراج الفلسطينيين من المخيم، وليس إلقاء البراميل عليهم. يبدو جليًّا أن الحرص هو حرص علىٰ النظام وليس الفلسطينيين. لا يمكن لأحد أبداً أن يقتنع بأنَّ هٰذه البعبعة والمطالب هي حرص علىٰ الفلسطينيين. لا من قبل السلطة الفلسطينيَّة ولا من قبل الأمم المتحدة ولا المجتمع الدَّولي.

الفصل السابع عشر

ارتباك عالمي بسبب تقدم الثوار

كلُّ يومٍ يزداد العالم الغربيُّ وقاحةً في الإسفار عن حقيقته في التَّعامل مع دماء السُّوريين التي تتدفق شلالات وأنهاراً منذ أربع سنوات متتالية[٣١]...

أكرر للمرة المئة علىٰ الأقل لا جديد عندي في ذَلكَ وقد كتبت في ذَلكَ عشرات المرات منذ بداية الثَّورة ولٰكنَّ أحداً لم يريد أن يقتنع أو يفهم وأو يقبل هٰذه الحقيقة وظلَّ الجميع ينتظرون الدَّعم الأمريكي والغربي للثورة السُّوريَّة.

منذ شهر تقريباً صارت الثَّورة السُّورية تتقدم تقدماً نوعيًّا وكبيراً علىٰ مختلف الجبهات في أرجاء سوريا، التقدم والانتصارات نوعيَّة جدًّا وليست عاديَّة أبداً، حَتَّىٰ إن بعضهم لم يرد أن يقتنع إلا بأن هناك ضوء أخضر أمريكي/ عربي

(٣١) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٥/٥/١٤م، ونشر في الفترة ذاتها.

لإسقاط بشار الأسد والنِّظام السُّوري. وبعضهم ذهب إلىٰ أنَّ الأمريكان والعربيكان سمحوا لقوى الثَّورة العسكرية بالتقدم من أجل إرغام بشار الأسد علىٰ الجلوس علىٰ طاولة المفاوضات. والحقيقة ليست من هٰذه الطينة ولا من هٰذه العجينة. الثَّورة تتقدم تمرُّداً وعصياناً وحماسةً، علىٰ الرَّغْمِ مما يربطها من قيود بالعربيكان والأمريكان الذي يريدون هٰذا التقدم ولا يقبلونه ولٰكنَّهُم وجدوا أنفسهم أمامه وجهاً لوجه. فماذا حدث؟

بعد سلسلة من الممارسات والتصريحات التسللية أعلنت أمس ٢٠١٥/٥/١٣م السي آي إي الأمريكية، ولا يوجد سي آي إي غير الأمريكيَّة، وعلىٰ لسان أكثر من مسؤول سياسيي وعسكري ومخابراتي منهم رئيس هيئة الأركان الأمريكيَّة المشتركة مارتن ديمبسي، أنَّ «الولايات المتحدة قلقة من التَّقدُّم الذي يحرزه الثُّوار السُّوريون علىٰ الأرض»، وأعلنوا أنَّ «أداتهم لمواجهة هذا التقدم هو حزب الله».

عشرات المقالات والتعليقات كتبتها منذ بداية الثَّورة في ذلك ولم يقتنع أحد بل حَتَّىٰ مع هٰذه التصريحات تجد تافهي الثَّورة السُّورية متعلقون بالحذاء الأمريكي. فمع هٰذه التصريحات التي تفقأ العين وتبخش العقل وضوحاً نجد أعلام المحللين السياسيين وفطاحلة التَّحليل العسكري مسرورين من أنَّ أمريكا باشرت بتدريب مجموعات من الجيش الحر لمحاربة الدولة الإسلامية قبل النِّظام وسيتم التدريب على مدى ثلاث سنوات... علىٰ الأقل.

ماذا يعني أن يكون تدريب جيش حر لمدة ثلاث سنوات علىٰ الأقل؟

إذا ما أخذنا أن هٰذا التَّدريب، كما أشرنا كثيراً استناداً لتصريحات أمريكيَّة، هو لمقاتلة الدولة الإسلامية حصراً ويمنع عليهم مقاتلة النِّظام، وقبل

الدولة الإسلامية صرح الأمريكان بأنهم لن يسلحوا الجيش الحر إلا لمقاتلة الإسلاميين، فهل يمكن القول إنَّ أمريكا تريد إسقاط النِّظام السُّوري؟

الولايات المتحدة ليست وحيدة في هٰذه المخاوف فأمس ذاته أيضاً ٢٠١٥/٥/١٣م الإندبندنت البريطانية أكَّدت مخاوفها وقلقها من تقدم الثَّورة السُّوريَّة علىٰ الأرض، وأبدت قلقها ومخاوفها من سقوط بشار الأسد».

طبعاً هٰذه بريطانيا التي كنت تنط مثل القرد بَيْنَ اليوم والثاني لتعلن وجوب تسليح المعارضة السُّورية. هي لم ترد تسليح المعارضة لتنتصر الثَّورة وإنما لتدمير سوريا، مثلما أرادت أمريكا. وفي ذٰلكَ كتبت عشرات المقالات والتعليقات منذ بداية الثَّورة ولم يرد أحدٌ الاقتناع.

الآن يكتشفون هٰذه الحقائق وينبهرون بها وبعضهم ما زال يتعلق بالحذاء الأمريكي والبريطاني وأحذية عربيكيَّة لا تريد الخير لسوريا ولا للثورة.

في إسرائيل ويا للمصادفة العجيبة المخاوف ذاتها في اليوم ذاته. فالكاتب الإسرائيلي آلون بن ديفيد كتب في صحيفة معاريف الإسرائيلية أمس ١٣ / ٥/ ٢٠١٥م «إنَّ حزب الله الذي يتولى مهمة الدفاع عن إسرائيل في سورية قد مني بخسائر كبيرة». وأضاف ألون آلون قائلاً: «إنَّ حرص حسن نصر الله علىٰ الظهور بمظهر الواثق من نفسه أمرٌ مبالغٌ فيه».

وتابع في تبيان المخاوف الإسرائيلية قائلاً: «أمام انكسارات بشار الأسد، وتواصل حركة نزوح العلويين إلىٰ الساحل، وهجرة عائلة مخلوف التي تنتمي إليها والدة بشار من البلاد... فإنَّ الرأي السائد في إسرائيل أنَّ خطوط الدفاع عن إسرائيل المتمثلة ببشار وإيران وحزب الله تؤول إلىٰ الصفر. ولذٰلك علىٰ إسرائيل أن تستعد لتدافع عن نفسها ضد الشعب السُّوري بنفسها».

وأضاف موضحاً مطمئنا للإسرائيليين قائلاً: «بناء علىٰ هٰذه المعطيات فإنَّ قيادة الجيش الإسرائيلي استعانت بقوى الاستطلاع المخابراتية للإعداد لبنك أهداف ستقوم بقصفها مباشرة في حال تأكد سقوط الأسد».

هنا تبرز حقيقة الضربات الإسرائيلي ليس في الآونة الأخيرة وحسب بل علىٰ مدار الثَّورة السُّوريَّة. تلك الحقيقة التي تشير إلىٰ أنَّ إسرائيل تقوم بتصفية المواقع والإمكانات التي يمكن أن تقع تحت أيدي الثَّورة... وهو مشروع ماضية فيه، وقد تساءلت في مقال سابق في هٰذا الموضوع: إن كان النِّظام يحتفظ بحقِّ الرَّدِّ فهل ستحتفظ الثَّورة بحق الرَّدِّ علىٰ إسرائيل؟

إذا لم تفعل الثَّورة ما يجب فعله منذ الآن وتتخذ الإجراءات اللازمة منذ الآن فإن إسرائيل ستسرح وتمرح في سوريا تدميراً لكل ما تملكه سوريا من قوى، بما فيها أسلحة الجيش الحر المتوسطة.

وبعد ذٰلكَ كله يقولون: روسيا عرقلت الجهود الدولية لمحاكمة النِّظام السُّوري».

هٰذا كذب، ولٰكنَّهُ في الوقت دليل سوء تقدير وقلة فهم وتدبير.

روسيا نفَّذت الرَّغبة الدولية بحماية النِّظام لا أكثر.

وعلىٰ أيِّ حال أكرر: لا عتب علىٰ أمريكا ولا روسيا ولا بريطانيا ولا قادة العربيكا أنَّهُم خذلوا سوريا ودمروها.

العتب علىٰ الشَّعب العربيِّ والشَّعب المسلم، وقبلهم وبعدهم العتب علىٰ السُّوريين الذين تاجروا بدماء السُّوريين.

الفصل الثامن عشر

محاربة الثورة للحفاظ على المؤسسات

من مظاهر العهر الغربي خاصَّة والعربي بالإضافة أنَّهُم يحاربون الثورة من أجل المحافظة علىٰ مؤسَّسات الدَّولة[٣٢]!!!

في أواسط عام ٢٠١٢م نشرت مقالاً مطولاً في الشبكة العربيَّة العالميَّة حمل عنوان: تلاعب العالم بالثَّورة السُّوريَّة. تلاعب العالم بالثَّورة السُّوريَّة كان منذ أن قرَّرت الثَّورة أن تكون بلا قيادة، منذ أن تعدَّدت

(٣٢) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٥/٥/١٨م، ونشر في الفترة ذاتها.

قيادات الثَّورة، منذ أن تسابقت قيادات الثَّورة من أجل الدعم على رهن الثَّورة للداعمين.

استمرت قيادات الثَّورة على هٰذا المنوال، واستمرَّ العالم على هٰذا المنوال، فزادت الثَّورة ضياعاً وتشتتاً وتبعثراً... وازداد تلاعب العالم بالثَّورة السُّوريَّة، وتواصل هٰذا التلاعب حَتَّىٰ وصل إلىٰ مفاصل حرجةٍ، على الرَّغْمِ من كلِّ التَّقدُّم الذي تحقِّقهُ الثَّورة المسلَّحة على الأرض... بل دعوني أقل لولا هٰذا المنوال من قيادات الثَّورة كانت انتصرت الثَّورة منذ سنتين انتصاراً تامًّا، ولم يستطع أحد أن يفعل شيئاً للنظام ولا أن تضيع كرامة الثَّورة وقيادتها، ناهيكم عن كم الخسائر الهائل بشريًّا وماديًّا.

اتخذ تلاعب العالم بالثَّورة السُّوريَّة مظاهر وأنماط متعدِّدة تبعاً للمرحلة... مرَّ على أنماط متعدِّدةٍ وكثيرةٍ ووصل الآن إلىٰ خرافة الحفاظ على مؤسسات الدَّولة، وللمناسبة استبقت هٰذه الأسطوانة المشروخة بمقال مطول نشرته أواخر العام الماضي تحت عنوان: «ما الذي بقي من مؤسَّسات الدَّولة؟».

فإلىٰ الأغبياء الذين لم يقتنعوا ولا يريدون حَتَّىٰ الآن الاقتناع أتوجه بسؤال:

متى كانت الثَّورات تقوم من أجل المحافظة على مؤسَّسات الدَّولة والدِّفاع عنها؟

الثَّورة التي تنطلق من هٰذه القناعة أو تقبل بها ليست ثورةً وإنَّما هي تمرُّدٌ يجب قمعه وسحقه. طالما أنَّهَا تقبل مؤسَّسات الدَّولة وتقتنع بها وتدافع عنها فلماذا كانت ثورة إذن؟

وعلىٰ هامش هٰذا السُّؤال أبني السُّؤال الأكثر أهميَّة:

هل تريد أمريكا أو إيران أو روسيا أو حَتَّىٰ الدَّول العربيَّة إقناعنا بأنَّهُم حريصون علىٰ المؤسَّسات السُّورية؟!

في حقيقة الأمر، لا يقتنع بذَلكَ إلا هبيل أو خبيل أو سطيل أو زبيل أو عميل أو أي شيء من هٰذا القبيل.

لا أستطيع إلا أن أكرِّر ما كتبه مئات المرَّات منذ بداية الثَّورة، علىٰ الرَّغْمِ من أنَّ مئات المرات كلها ذهبت عبثاً وهباءً، وخرج علينا كثيرٌ ممن تمسحوا بالحذاء الأمريكي علىٰ مدار سنوات الثَّورة السَّابقة، وعلقوا كل الآمال علىٰ الدعم الأمريكي والتدخل الأمريكي ليقولوا الآن: «كلنا كنا نعرف أنَّ أمريكا ضِدَّ الثَّورة...!!!»:

منذ البداية وأنا أكرِّر الدَّاعم الحقيقي للأسد هو أمريكا وليست إيران ولا روسيا أبداً. لم يكن الأسد مبالياً بالدَّعم الإيراني والرُّوسي أبداً إلا من باب السَّند الاحتياطي. لم يكن ينظر الأسد إلا إلىٰ الصَّوت الأمريكي والرسائل الأمريكيَّة. فقط عندما رأى الدعم الأمريكي له تمادى في القتل والدمار والتَّشريد والمجازر. ولولا ذَلكَ لما بقي في السُّلطة أياماً.

بل أكرر أيضاً إنَّ من يمنعه من التَّنحي ومغادرة البلاد هو أمريكا، أمريكا لا غيرها، وكل الآخرين هوامش علىٰ المتن.

أمريكا لم تقف مع الثَّورة إلا في الأشهر الأولى خوفاً من سقوط الأسد وخسارة الشَّعب السُّوري، ولٰكنَّهَا سرعان ما قلبت المجن وأعطت كلَّ الأضواء للأسد للقضاء علىٰ الثَّورة وسحقها. حَتَّىٰ الضَّوء الأحمر والخط الأحمر الأمريكي كان يعني تفويض الأسد بفعل ما يريد من أجل سحق الثَّورة مهما بلغ ذَلكَ من ثمن. وقد علَّق الكثيرون في فترة الإسهال الأوبامي بالخط الأحمر في حال

استخدام الكيماوي قائلين: «هٰذا يعني أن كل أنواع القتل الأُخْرَىٰ مسموحة... إلا الكيماوي». وحَتَّىٰ مع استخدام الكيماوي كما تابع الجميع لم يفعل الأمريكان شيئاً سوى قدموا مكافأة للأسد بضمان بقائه حَتَّىٰ ما بعد الانتخابات الرئاسية السُّورية لتكريسه رئيساً بشرعية جديدة لمدة سبع سنوات.

أمريكا ترى الثَّورة هي العدو ولا ترى الأسد عدوًّا علىٰ الإطلاق علىٰ الرَّغْمِ من البعبعات والجعجعات الإعلامية كلها من الفريقين الذين لا اشك في أنَّ بينهما تنسيق متواصل علىٰ طول الخط.

كتبت عن ذٰلكَ معظمه في حينه، واليوم أقف أمام مشهد تكرَّر مثله غير مرَّةٍ عبر سنوات الثَّورة الأربع الماضية. هو مشهد التباكي الكاذب علىٰ جريمة والسكوت الفاجر علىٰ جريمة أكبر.

أضيق ذرعاً بالبشريَّة القذرة...

السُّوريون أشكالاً وألواناً...

العرب أشكالاً وألواناً...

الغرب الشرق...

كلهم مستنفرون استنفاراً عجائبيًّا منذ أيام تخوفاً علىٰ آثار تدمر بسبب اقتراب الدَّولة الإسلاميَّة من السيطرة علىٰ تدمر. ولٰكنَّهُم صمتوا صمتاً مطبقاً علىٰ تدمير آثار لا تقلُّ أهميَّةً وقيمةً دمَّرها النِّظام مثل مسجد العمري بدرعا الذي عمره ١٤٠٠سنة وفيما يروى أنَّ لعمر بن الخطاب لمسات فيه لدى عودتى من القدس، ومسجد خالد بن الوليد بحمص وفيه ضريح خالد ابن الوليد وعمره ١٤٠٠سنة، وقلعة المرقب، وقلعة الحصن وغيرها... لم يتحرَّك ضميرٌ واحدٌ من أجلها إلا ضمير أبنائها.

هل المشكلة في الآثار أم فيمن يدمر الآثار؟

مثالٌ تقريبيٌّ علىٰ ذٰلكَ مجزرة الكيماوي إذ تمت مصادرة الكيماوي وأطلقت يد النِّظام الذي ارتكب المجزرة. دليل النِّفاق والقذارة العالميَّة هنا هو أنَّهُم يدينون الفعل حسب الفاعل وليس الفعل ذاته، يتباكون علىٰ الأثر حسب من يدمره لا حسب قيمة الأثر، أمريكا دمرت أعزَّ آثار العراق ولم يتفوَّه أحدٌ في العالم احتجاجاً أو اعتراضاً إلا المساكين أصحاب الآثار.

المشكلة ليست في حماية آثار تدمر... يعني لو دمرها النِّظام لما تحرَّك أحدٌ ولا اعترض أحدٌ. المشكلة هي أنَّهُم يريدون تصعيد الاحتجاج علىٰ تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة... لا أكثر. مثلما حدث علىٰ مدار الحرب ضد الدَّولة الإسلاميَّة؛ إذا تنفست الدَّولة الإسلاميَّة ثار العالم احتجاجاً واستنكاراً واعتراضاً... أي سلوك تقوم به الدَّولة الإسلاميَّة يصور تصويراً بشعاً وتسلط عليه أضواء الإساءة كلها من كل الجبهات والجهات، في أنَّ الآخرين في سوريا والعرق واليمن وإيران ولبنان ومصر وأفريقيا الوسطى ومينمار وغيرها يرتكبون جرائم أبشع بمليون مرَّة، وأشنع بمليون مرَّة، وأكثر وحشيَّةً بمليون مرَّة ومع ذٰلكَ لا أحد ينبس ببنت شفة اعتراضاً أو تذمراً أو احتجاجاً!!!

هٰذه هي القصة بحذافيها حذفوراً حذفوراً.

هٰذا ليس دفاعاً عن الدَّولة الإسلاميَّة يا سادة، إِنَّهُ دفاع عن المنطق، عن اتساق العقل مع ذاته، وليكن صاحب الحق من كان... إنَّ أي تفكير خارج هٰذا السِّياق هو انحرافٌ وفقدان توازنٍ واضطرابٌ نفسيٌّ.

لدى مناقشتي لمشروع دمقرطة العالم العربي الذي قاده جورج بوش الصغير بعد احتلال العراق وتوجته وزيرة خارجيته كوندااليزا رايس بمشروع الشَّرق الأوسط الكبير عام ٢٠٠٥م، قلت، والمناقشة في كتابي قضايا الفكر العربي المعاصر الصَّادر باللاذقيَّة عام ٢٠٠٦م:

أمريكا لا يمكن أن تقبل الديمقراطيَّة في العالم العربي، إنَّهَا تريد ديمقراطيَّةً واحدةً فقط هي الدِّيمقراطيَّة التي تأتي بعملاء أمريكا إلىٰ السُّلطة، وتضمن بقاءهم تحت أي سقف من الاستبداد وقمع الحريَّة والديمقراطيَّة؛ الديمقراطية الأمريكيَّة في العالم العربي والإسلاميَّة هي حقُّ أمريكا في فرض رجالها علىٰ السُّلطة مهما فعلوا.

تحت هٰذا السَّقف يمكن أن نفهم الموقف الأمريكي من الربيع العربي ومن الثَّورة السُّورية علىٰ خاصٍّ وخاصٍّ جدًّا.

الفصل التاسع عشر

النظام ينهار
ويخططون لحل سياسي بعد أشهر

في حِيْنِ أَنَّ الأوساط العالميَّة كلها تتوقع انهيار النِّظام بَيْنَ عشيَّةٍ وضحاها(٣٣)...

في حِيْنِ أَنَّ وزيري خارجيتي أكبر دولتين في العالم اجتمعا قبل يومين في ٢٠١٥/٥/١٧م علىٰ عجل للتَّباحث في تداعيات انهيار نظام الأسد والتَّخطيط والتَّوافق علىٰ مرحلة ما بعد الأسد...

(٣٣) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٥/٥/١٩م، ونشر في الفترة ذاتها.

في حِيْنِ أَنَّ الصَّحافة الإسرائيليَّة منذ أسبوع وهي تبحث في تداعيات ما بعد انهيار نظام الأسد وما يجب عليها فعله لمواجهة المخاطر المحتملة وضرب من تتوقع أن يشكلوا عليها خطراً في المرحلة التالية لسقوط الأسد...

في حِيْنِ أَنَّ النِّظام متفكك ولم يبقى منه شيء ولا أحد يدري كيف سينهار فجأة ليس من دون مقدمات لأنَّ المقدمات كلها تقول إِنَّهُ منهارٌ ومتفكِّكٌ وما بقاؤه إلا هيكلاً من دون مضمون أو روح أو قدرة علىٰ البقاء...

في حين ذَلكَ كلِّه تتفضل المملكة العربية السُّعودية علىٰ الثَّورة بالتَّحضير لاجتماع تقاسم السُّلطة مع النِّظام علىٰ أن ينعقد هٰذا الاجتماع التَّشاوري وليس التَّقاسمي بعد شهرين من الآن، ولا ندري كم من الاجتماعات ستتلوه علىٰ كم من الأشهر ورُبَّما السنوات وفق المخطَّط السُّعودي.

غرابة يبدو أنَّها تفوق قدرة العقل علىٰ التَّخيل. وهي كذَلكَ في حقيقة الأمر من جهة، ولٰكنَّهَا ليست جديدةً ولا غريبة من جهة ثانية علىٰ ضوء ما تتوقع السعودية أنَّها تمسك به من أوراق الثَّورة السُّوريَّة. السعودية تحسب أنَّها تمسك بأكثر من ثمانين بالمئة من أوراق وقيادات الثَّورة السُّوريَّة عندنا فرضت نفسها متحكماً وحيداً بدعم الجيش الحر وتسليحه وغير ذَلكَ كثير. ولذَلك تحسب أن إيقاف تقدم الثَّورة وفرض خريطة الطَّريق التي تحملها بيدها منذ أوائل أيَّام الثَّورة. ولٰكنَّهَا لم تطرحها، حَتَّىٰ أوجدت الظروف المناسبة للقدرة علىٰ فرضها علىٰ الثَّورة.

هٰذا إذن ليس لعباً علىٰ الطويل. هٰذا ليس ممارسة جديدة علىٰ الإطلاق. منذ بداية الثَّورة لعبت العرب والمجتمع الدولي هٰذه اللعبة مرات عدة. في أواخر عام ٢٠١١م وفي حين كان الجميع يترقب انهيار النِّظام وسقوطه دعت الجامعة

العربيَّة إلىٰ اجتماع بعد ثلاثة أشهر، وتزامن معها تفكير مجلس الأمن الدولي باجتماع مماثل بعد أشهر... إحباط مخطط لا مصادفة كتبت عنه في حينه.

في أواخر عام ٢٠١٢م وأوائل عام ٢٠١٣م كانت بوادر انهيار النِّظام علىٰ أشدها، وكتبت حينها: النِّظام ينهار والمجتمع الدولي يبحث في كيفيات إنقاذه وانتشاله. وكان منها الممارسة الإحباطية والدعوة إلىٰ جنيف٢ وإيقاف الجبهات، والحديث عن اجتماعات ودعم بعد ستة أشهر... في حين أنَّ الجميع يترقب سقوط النِّظام كانت الدول العربيَّة والأمم المتحدة وأمريكا يتحدثون عن إجراءات بعد ستة أشهر... إحباطٌ مخطَّطٌ لا مصادفةٌ.

لا أطيل في الشَّواهد، أقفز إلىٰ اليوم. اليوم بعد تقدم هائل للثَّورة المسلَّحة علىٰ مختلف الجبهات وانهيار جيش النِّظام انهياراً تامًّا، وعجزه عن الصمود في أي جبهة من الجبات، أي جبهة تتقدم إليها الثَّورة المسلحة تنهار خلال أيام قليلة، والثَّورة المسلَّحة في تقدُّم من مكان إلىٰ مكان، ولم يعد النِّظام يسير علىٰ أكثر من ربع المساحة السُّورية منها دمشق والسَّاحل بل جزء من السَّاحل. وكل التَّوقعات تقول إنَّ بشار الأسد إن لم يكن قد غادر سوريا فهو ممسك بحقائبه لا يمنعه إلا التَّهديد الخارجي بعدم الخروج والمغادرة... في ظلِّ ذَلكَ كله تأتي المملكة السُّعوديَّة العربيَّة لتقول سيبقى بشار الأسد ونظامه وستشاركه الثَّورة في السُّلطة وستبدأ المباحثات بعد شهرين، ولا ندري متى تنتهي المباحثات ولا كيف ستنتهي، مثل جنيف٢ تماماً؛ فرض علىٰ النِّظام الثَّورة التفاوض من دون ورقة عمل ومن دون ضمانات، ومن نتائج متوقَّعة إلا إمكان استمرار المفاوضات عشر سنوات كما قال وزير الخارجيَّة الروسي سيرجي لافروف... ورُبَّما تنتهي المفاوضات كما انتهت في اليمن بالرعاية ذاتها أي ببقاء النِّظام حاكماً متحكماً

بكلِّ شيءٍ أساسيٍّ، والثَّورة والثُّوار وَرَقُ تواليت يستخدم عند إخراج أي قرار إلىٰ بالوعة المرحاض.

وليس هٰذا فحسب، بل إنَّ الإئتلاف الذي يمثل الثَّورة، وبقراراتٍ عربيَّةٍ ودوليَّةٍ يعدُّ ممثلاً للشَّعب السُّوري، بغضِّ النظر عما فيه من إشكالات، تَمَّ تهميشه لصالح معارضةٍ تابعةٍ للنِّظام، ومعارضاتٍ لا أصل لها ولا فصل، ولها توجهات مناهضة للثَّورة... كلها فُرِضَتْ لتكون ممثلاً للثَّورة والشَّعب السُّوري!!! فتخليوا.

هٰذا ليس تحليلاً، هٰذا ليس توقعاً، هٰذا ليس استنتاجاً، هٰذا حقيقة ما يحدث ويدور ويخطط له. وسيذكر التاريخ أنَّ النِّظام الإقليمي العربيكاني هو الذي تحكم بأنفاس الجيش الحر وصار يقتر عليه تقتيراً عندما يحتاج أن يفعل شيئاً، ويمنعه من التَّقدُّم والتَّحرُّك بقطع المدد في اللحظات الحرجة.

سنتان والجيش الحرُّ تحت هٰذه السَّيطرة؛ كلما تحرك في مكان تَمَّ التضييق عليه وخنقه حَتَّىٰ يتوقف علىٰ الرَّغْمِ منه وهو في ذروة الحماس والانتصار والتَّقدُّم. المتابعون للثَّورة السُّورية باهتمام كانوا يرون الوقفات المربكة للتَّحليل السِّياسي والعسكري والاستراتيجي حَتَّىٰ اعتزل المحللون المحترفون التَّحليل وبرز أشباه المحللين يتفلسفون ليسدُّوا الفراغ، اعتزل المحللون المحترفون لأنَّهُم وضعوا في مواقف محرجة بسبب الحراك غير المفهوم للجيش الحر علىٰ مختلف الجبات، ما تفتح من جبهة إلا وتنام الجبهات كلها نوماً لا يمكن لأحد تفسيره، وحَتَّىٰ الآن هٰذا السُّلوك قائمٌ. هناك من يريد أن يقول للنِّظام: اطمئن، لا تخف، ركِّز جهودك علىٰ الجبهة المفتوحة وأنت مطمئن.

ومع ذٰلكَ فإن الانتصارات تتالى علىٰ نحو غير متوقَّع لمن يتحكم بحراك الجيش الحر، ولذٰلك فرضت علىٰ الجبهات الأُخْرَىٰ أن تستلقي وتنام، أو فرضت

عليها صراعات داخلية لإشغالها عن التقدم باتجاه النِّظام. ومع ذَلكَ ذَلكَ فإنَّ ما حدث ويحدث من انتصاراتٍ مدهشةٍ في الأشهر الأخيرة لم يكن ليخرج عن هٰذا الإيقاع، ثَمَّة وراء الأكمة ما وراءها. تناولت ذَلكَ بتفصيل في مقال الأمس، وأقول باختصار: إنَّ هٰذا التقدم كله خوفاً من أن تكون الدَّولة الإسلاميَّة هي الأسبق لملئ الفراغ، ولذَلك تغاضوا عن تقدم الجيش الحر، أو رُبَّما دفعوه لملئ الفراغ الذي لم النِّظام قادراً علىٰ سدِّ ثغرته.

قد يستطيع النِّظام الإقليمي العربيكاني تمرير مخطِّطهم الذي عملوا عليهم علىٰ مدار الثَّورة لإسقاط الثَّورة أو عدم نجاحها وفرض سلطة من العملاء الذين باعوا الله ليتخووزقوا على كراسي السلطة...

قد يستطيعون ذَلكَ ولٰكنَّهُم لن ينجحوا، ولن يسامحهم الشَّعب السُّوري الذي ذاق منهم مثل ما ذاق من نظام بشار الأسد ولٰكنَّ من دون رصاص وصواريخ وبراميل.

تزعم الأنظمة العربيكانيَّة وفوقها أمريكا أنَّهُم يحمون الأقليات، ويزعمون أنهم يريدون تمرير أو فرض الحل السِّياسي من أجل حماية الأقليات... ويضحكون علىٰ بيادقهم من قيادات الثَّورة بهٰذه المزاعم، وهؤلاء البيادق يحسبون أنَّ أمريكا وعصاها من زعماء العرب حريصون على الأقليات ويسعون لحماية الأقليات... وهٰذه أسطورة الأساطير وخرافة الخرافات.

إنَّ أكبر كذبة تضحك بها أمريكا والغرب على منطقتنا، وبالتوافق والتنسيق مع الأنظمة العربيكانية يضحكون علىٰ الثَّورة السُّوريَّة، هي حماية الأقليَّات إلا إذا كانت تعني الأقليَّات غير المسلمة تحديداً لأنَّنا شاهدنا بأعيننا مجازر الأكثريَّة المسيحيَّة بالأقليَّة المسلمة في إفريقيا الوسطى، ومجازر الأكثريَّة

البوذيَّة بالأقليَّة المسلمة في مينمار ولم يتحرَّك لهم ضمير أو تصريح أو اعتراض، وغيرها من مثلها.

لسنا نحن العرب ولا المسلمين من يشترك عليهم حماية الأقليات، ولا من تفرض عليهم حماية الأقليات، ولا من يحتاج إلىٰ مواعظ في حماية الأقليات... راجعوا التاريخ القريب والبعيد والمتوسط وستجدون أننا نحن آخر من يحتاج إلىٰ دروس ومواعظ في في ذَلكَ. وإذا نظرما إلىٰ الخريطة الحالية في المنطقة وجدنا أن من يحتاج إلىٰ ضمانات هم الأكثرية، الأكثرية هي التي تتعرض للإبادة وليست الأقليات. ومع ذَلكَ يريدون ممن تعرض للإبادة والتَّهجير والتَّشريد والنَّهب أن يقدِّم ضمانات وحماية لقاتله!!!

أمريكا في حقيقة الأمر تريد تفتيت المسلمين تحديداً تحت ذريعة حماية الأقليات .ولا مانع لها من أيِّ مجزرة وإبادة بحقِّ المسلمين إن كانوا أقلية أو أكثريَّة.

المسألة لا تحتاج إلىٰ برهان والأدلة أسطع من الشَّمس وأوضح من الوضوح، إنَّهَا علىٰ أعين الناس جميعاً بالصور والوثائق والمشاهد الحية وأحياناً بالنَّقل المباشر... إنَّهَا تفوق البداهات قوَّة إقناع. وعندما تكون البداهات تحت الأرجل، والفانتازيا هي الواقع الذي يؤمن به الإنسان ويصدقه واثباً فوق البداهات، فمن الطَّبيعي أن لا تجد أمامك ما يمت إلىٰ العقل بصلةٍ. ولا يبقى أمامنا إلا نقول: أين قوم لوط يتعلَّموا الفجور من أهل هٰذا الزَّمان؟ إنَّ الشَّيطان ليعوذ بالله من أناس هٰذا الزَّمان.

الفصل العشرون

الأمم المتحدة تغيث النظام

منذ ثلاث سنوات علَّق الكثيرون بأنَّ الأُمَم المتَّحِدَة تقدِّم المساعدات الإغاثيَّة للنِّظام[٣٤] والنِّظام لا يوصلها إلىٰ النَّاس المحتاجة. ومنذ ذَلكَ الحين علىٰ الأقل لم تتوقَّف شكوى السُّوريين المحتاجين من أنَّ النِّظام يسرق الإغاثات التي تقدمها الأُمَم المتَّحِدَة لهم، ويقدمها لشبيحته.

أمس ٢٠١٥/٥/١٩م سيطر الثُّوَّار علىٰ معسكر المسطومة في إدلب، لم يفاجأوا بما وجدوه من كميات المساعدات الإغاثيَّة في المعسكر وهي ما زلت

(٣٤) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٥/٥/٢٠م، ونشر في الفترة ذاتها.

بأختام ولصاقات الأُمَم المتَّحِدَة من دون أي تغيير أو تبديل. كان النِّظام فيما سبق ينزع هٰذه اللصاقات والأختام أو يلصق فوقها، رُبَّما حَتَّىٰ لا يحرج الأُمَم المتَّحِدَة، ولا أظن أنَّهُ يشعر بالحرج من تقديمها لجنده أو شبيحته أو أنصاره. لم يعد النِّظام مضطراً لنزع اللصاقات والأختام، لا داعي لإضاعة الوقت... صار يوزعها من دون أي حرج.

هٰذه الإعاثات الأُمَمية التي وجدت في معسكر المسطومة بإدلب أعادت ذكريات معسكرات أُخْرَىٰ في حوران وغيرها سيطر عليها الجيش الحر ووجدوا فيها المساعدات الإغاثيَّة المقدمة من الأُمَم المتَّحِدَة منذ سنتين إلىٰ الآن وهي كما هي بأختام الأُمَم المتَّحِدَة ولصاقاتها.

لم يكن شيء في تلك المعلومات من افتراء أو ادعاء أو كذب. لقد كانت معلومات شهود عيان علىٰ ذٰلكَ. واستمر الأمر علىٰ ما هو عليه علىٰ مدار ما سبق من سنوات الثَّورة التي تقدم في الأُمَم المتَّحِدَة المساعدات الإغاثيَّة. وظل التساؤل لماذا تفعل ذٰلكَ الأُمَم المتَّحِدَة؟ ما الغاية؟ ما القصد؟ هل تدرك ما تفعل؟ هل تجهل ما تفعل؟

والسُّؤال الأبرز الذي يختصرها جميعاً: هل كانت الأُمَم المتَّحِدَة ترسل هٰذه الإغاثات للنِّظام أم للشَّعب المنكوب المشرد المحتاج؟

أيُّ قول بأنَّهُ مساعدات للشَّعب المنكوب هو كلام هراء وغباء وافتراء، لأنه لا يصل منه شيء إلىٰ هٰذا الشَّعب علىٰ افتراض إرسال المساعدات إليه، والأهم من ذٰلكَ لأنه من غير الممكن تصديق أنَّ الأُمَم المتَّحِدَة لا تعلم أنَّ النِّظام هو الذي يحاصر الشَّعب المنكوب ويمنع عنه الإغاثة، فكيف يمكن أن يوصل إليه الإغاثات المقدمة من الأُمَم

المتَّحِدَة؟ وفوق ذَلكَ كله عشرات الشكاوى والاحتجاجات وجهت إلىٰ الأُمَم المتَّحِدَة لتبيان أنَّ المساعدات التي تقدم لا يذهب شيء منها للشَّعب... إن كانت الأُمَم المتَّحِدَة تقدمها للشَّعب. هٰذا يعني بالضَّرورة أو ما بحكمها أنَّنا أمام أحد احتمالين:

إما أنَّ الأُمَم المتَّحِدَة تقدِّم الإغاثات للنِّظام بقصد مباشر من دون حرج أو حياء أو تردد، تضامناً معه بسبب قلة الموارد، والحصار العالمي المفروض علىٰ سوريا، وخوفاً عليه من الجوع... حَتَّىٰ لا يضطر للركوع.

أو أنَّ الأُمَم المتَّحِدَة تزعم أنَّها تقدم المساعدات الإغاثيَّة للشَّعب السُّوري المنكوب عن طريق النِّظام وهي تعلم أنَّ النِّظام لن يوصل هٰذه المساعدات الإغاثيَّة إلىٰ الشَّعب، لأنه لا يوجد أحد في العالم لا يعلم علم اليقين أنَّ النِّظام هو الذي يحاصر الشَّعب ويجوعه ويمنع عنه الطعام والماء والدواء... فكيف يمكن الاقتناع بأنَّ من يقدم له الإغاثات ليقدمها للشَّعب مقتنع بأنَّهُ سيفعل ذَلكَ؟ لا يقدم الإغاثات للشَّعب عن طريق النِّظام إلا من يريد أن يقدم المساعدات للنِّظام باسم الشَّعب.

في الحالين نحن أمام موقف أممي رسمي، لا يمكن القول إلا أنَّهُ موقف أممي رسميٌّ داعم للنِّظام السُّوري، مؤيد له، مغيث له، يقدم له المساعدات في مخالفة صريحة لأمرين أولهما ميثاق الأُمَم المتَّحِدَة ذاته، وثانيهما قرارات مجلس الأمن والأُمَم المتَّحِدَة ذاتها في الشأن السُّوري.

ذريعة الأُمَم المتَّحِدَة أنَّها تقدم المساعدات لطرفي الصراع. ما يحدث في سوريا مهما تطور وتعقد ليس صراعاً بَيْنَ طرفين، إنَّهُ ثورة علىٰ نظام، والنِّظام

يقمع الثَّورة بوحشية مطلقة. وعلىٰ افترض ذَلكَ، ولست ضد تقديم المساعدات للشَّعب السُّوري كله من أطيافه جميعها طالما هي بحاجة إلىٰ ذَلكَ، فلماذا تقدم حصة الشَّعب المنكوب الضعيف للنِّظام ليقدمها للشَّعب، لماذا لا يكون العكس؟ العكس مستحيل، حسناً، فهل يسوِّغ ذَلكَ تقديمها للنِّظام الذي لن يوصلها ويحرم منها الشَّعب؟

أن تقول الأُمَم المتَّحِدَة أو من يريد سفهاً أن يدافع عنها إن الأُمَم المتَّحِدَة لا تتعامل إلا مع دول. فهٰذا هراء يصحُّ في حالات السلم، أما في حالات الصراع، علىٰ التسليم بأن ما يحدث في سوريا، فنظام الأُمَم المتَّحِدَة يقول بوقوفها علىٰ مسافة واحدة من طرفي الصراع. فلماذا وقفت فقط مع طرف واحد علىٰ افتراض أن ما يحدث صراع بَيْنَ طرفين متوازنين ولو أدنى حدود التوازن.

ولٰكنَّ الحال في سوريا لا هٰذا ولا ذاك. الحال في سوريا ليس جديداً علىٰ الأُمَم المتَّحِدَة بحال من الأحوال. الحال في سوريا ليس صراعاً بَيْنَ طرفين، وإن جهدت أمريكا وأصنامها العرب لتصوير ما يحدث علىٰ أنَّهُ صراع، وتحويل الثَّورة إلىٰ صراع. ما حدث في سوريا إلىٰ وقت جدٍّ قريبٍ هو حرب إبادة شاملة مارسها نظام ضد شعبه، وقد اتخذت الأُمَم المتَّحِدَة ذاتها عشرات قرارات الحظر والحصار علىٰ هٰذا النِّظام من مختلف الأنواع والمستويات، يعني أنَّ الأُمَم المتَّحِدَة تخالف قراراتها وتتصرف عكسها، هي التي تخرق الحظر والحصار علىٰ النِّظام، بل تخرقه بوقاحه غير محدودة، لأنَّ قرارات الحظر والحصار يمنع أحداً أن يبيع النِّظام أو يشتري منه أي أسلحة أو أغذية أو تجارة... والأُمَم

المتَّحِدَة لا تفعل ذَلكَ بل تقدم للنِّظام مجاناً ما تقدِّمه شعوب العالم من مساعدات للشَّعب السُّوري المنكوب الذي يتعرض لحرب الإبادة.

هل يعقل ذَلكَ؟

إِنَّهُ سؤال بلا طعم، سؤال سخيف، لأنَّ الواقع هو كذَلكَ فعلاً. الأُمَم المتَّحِدَة ليست نبع نقود ومساعدات، إنها تستلم المساعدات من مختلف دول العالم والمؤسسات في العالم لتقدمها للشَّعب السُّوري المشرد المنكوب فتقدمها للنِّظام الذي يقتل هٰذا الشَّعب ويمارس ضده حرب إبادة!!!

لا أعرف من كتب ألف ليلة وليلة، ولَكنَّهُ لو كان حيًّا وعاش ما نعيشه لما وجد قدرة علىٰ التخيل ليكتب ألف وليلة، ولا حَتَّىٰ ليلة واحدة.

قد يستغرب الكثيرون هٰذا الكلام. أستغرب ممن سيتسغربون. إنَّ سلوك الأُمَم المتَّحِدة ينسجم انسجاماً تامًّا مع سياسات أمريكا وروسيا والنِّظام الإقليميِّ العربيكانيِّ... الأُمَم المتَّحِدة ليست مؤسَّسةً مستقلَّةً كما يُفترض وكما يجب، الأُمَم المتَّحِدَة مؤسَّسَةٌ باسم الشَّرعيَّة الدوليَّة والإرادة الدوليَّة تنفذ الرغبات الأمريكية خاصَّة والغربيَّة عامَّةً وعلىٰ الهامش روسيا والصين... وما تبقى من دول مهمتها ضج بصمة الإبهام الأيسر علىٰ القرار لإسباغ الشَّرعيَّة الدوليَّة علىٰ تنفيذ المصالح الأمريكية والغربيَّة عن طريق الأُمَم المتحدة.

إذا راجعنا مواقف الولايات المتَّحدة والدُّول الغربيَّة الأنظمة العربيكانيَّة من النِّظام السُّوري والثَّورة السُّوريَّة وجدنا أنَّها جميعاً كانت تقدِّم الدعم للنِّظام من تحت الطاولة، مختلف أنواع الدَّعم بما فيها الأسلحة من مختلف الأنواع. فكيف نستغرب أن تقدِّم الأُمَم المتحدة المساعدات الإغاثيَّة للنِّظام؟

كتبت مرَّةً قبل نحو سنتين أنَّ أساطيل الولايات المتحدة والدُّول الغربيَّة كانت قبل الثَّورة السُّوريَّة تضرب حصاراً خانقاً علىٰ الحدود السُّوريَّة لمنع وصول أيِّ صفقة سلاحٍ من أيِّ بلد في العالم إلىٰ سوريا، ولم يكن هناك قرار حظر تصدير السِّلاح إلىٰ سوريا. عندما بدأ النِّظام بقمع الثَّورة بوحشيَّة صارت قوافل الأسلحة ترد إلىٰ النِّظام من إيران وروسيا وكوريا ويوغسلافيا وتشيكيا علناً... ومع ذَلكَ لم تُصادر ولم تمنع شحنة أسلحةٍ واحدةٍ، ولم يعترض أحدٌ علىٰ تصدير السِّلاح إلىٰ النِّظام السُّوريِّ علىٰ الرَّغْمِ من صدور قراراتٍ أمميَّةٍ من مجلس الأمن الدولي بمنع تصدير السِّلاح إلىٰ سوريا!!!

هل هي مصادفات؟

مصادفة ما كان ولن يكون أغرب منها في تاريخ البشر أن نجد من يرى ذَلكَ مصادفة.

هي ليست المرة الأولى في تاريخ الأمم المتحدة. ولَكنَّهَا المرة الأولى في العالم العربي ضمن صراع عربي عربي داخلي. كانت في المرات السابقة كلها ضدَّ العرب وضدَّ المسلمين: تاريخ فلسطين والصَّهاينة كله من هٰذا القبيل إلا نثرات ذرِّ الرماد في العيون. في البوسنة والهرسك كاد يجب القول إنَّ جيش الأمم المتحدة يرتكب المجازر مع الصَّرب ضدَّ المسلمين... والقائمة طالت أو قصرت الفكرةُ واحدةٌ والنَّتيجةُ واحدةٌ... يكفي أن تكون ممارسة واحدة مفضوحة علىٰ هٰذا النَّحو حَتَّىٰ توقف شعر رأسنا وتهز ضميرنا وتجعلنا نتلفت حولنا من هٰذه المؤسَّسة الدَّوليَّة التي يفترض أنَّها لسان الضَّمير الإنساني ويده.

ولٰكن لأنَّ الأمم المتحدة هي منشار مصالح الأقوياء وعلىٰ رأسهم الولايات المتحدة والدول الغربيَّة، وليست روسيا والصين إلا خشبتي رجلي

كرسي، بات من الصَّعب عدم إلباس قبعة انعدام الوجدان الإنساني لهذه السِّياسة الغربيَّة. الغرب هو المسؤول الأول والأخير، لأنَّ الغرب هو قائد الحضارة البشريَّة اليوم، وهو ضابط إيقاعها، وشرطيها... لا يمكن إنكار أنَّ من حقهم بل من واجبهم تحقيق مصالحهم ولو علىٰ حساب مصالح الآخرين، بما هم أرباب الحضارة البشرية، ولٰكن ليس بهٰذه الازدواجية أبدا، هم ليسوا مضطرين أبداً للازدواجية، فكيف أن تصل ازدواجيتهم درجة تنفجر معها حساسات كل معايير وموازين الحرارة والضَّغط والكثافة والمقاومة والتَّوتُّر والتَّردُّد والوزن والطُّول والحساسيَّة والاستيعاب والفهم...

هٰذه ليست مبالغة، ولا مزاحاً، هٰذه هي الحقيقة، وربَّما يكون الواقع أشد قبحاً من ذٰلكَ كله.

ماذا يمكن أن يتوقع الغرب شعوباً وقادة من نتائج لهٰذه السِّياسات الغربيَّة؟

هم لا يتوقعون ولا يدركون إلا أنَّهُم يحقِّقون مصالحهم بالقوَّة واللين. ولٰكنَّهُم يزرعون ردود أفعال عنفيَّة تريد أن تثأر وتسترد حقوقها وكرامتها، لا بُدَّ ولا يمكن إلا أن تفجر يوماً قريباً أو بعيداً.

أمريكا تطلب من الناتو حماية أوكرانيا

الفصل الحادي والعشرون

الافتراء على الدولة الإسلامية يزيد أنصارها

وما زالوا يتساءلون:

من الذي يدفع النَّاس للإعجاب بالدَّولة الإسلاميَّة[٣٥]؟

ما سر زيادة المعجبين بتنظيم الدَّولة الإسلاميَّة؟

لماذا يزداد المبايعون للدولة الإسلاميَّة؟

---

(٣٥) .كتب هذا المقال في ٢٠١٥/٥/٣١م، ونشر في الفترة ذاتها.

لا أريد الكلام في الظروف الموضوعيَّة التي تفرضها إيقاعات السياسة الأمريكيَّة والغربيَّة ومعها الأنظمة العربيَّة القائمة علىٰ الاستبداد والقهر والاستلاب والازدواجيَّة التي تفرض علىٰ المواطن العربي والمسلم أن تكون لديه ردود أفعال عنفيَّة محقة في الدفاع عن نفسه وهويته وكرامته ودينه ضد هٰذه الممارسات السفيهة كلها الصادرة عن الأطراف الآنفة ضد العربي وضد المسلم.

أكرر لا أريد الحديث فيها فالحديث فيها طويل وقد سبق الكلام فيها غير مرة في موضوع علىٰ مدار عشرات السنين الماضية. أريد الآن أن أقف عند المشهد المدهش الذي يحير السياسيين وخاصة الغربيين من تزايد جماهيريَّة تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة، وزيادة انصارها ومعجبيها وحَتَّىٰ من يبايعونها، علىٰ الرَّغْمِ من كل حملة التشويه المذهلة التي يخوضها العالم أجمع ضد الدَّولة الإسلاميَّة من تسليط الضَّوء علىٰ وحشيتها ودمويتها ونهجها التَّكفيري وغير ذٰلكَ كثير مما لا يخطر ببال إبليس....

مع ذٰلكَ كله، وبعد ذٰلكَ كله يزداد الإقبال علىٰ تأييد الدَّولة الإسلاميَّة ومناصرتها ومباعتها!!!

ما السر؟ ما السبب؟

كتبت في ذٰلكَ غير مرَّة منذ سنة علىٰ الأقل، وتحدثت في ذٰلكَ في عدد من اللقاءات التلفزيونيَّة منذ بدأت الحملة علىٰ تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة عندما كان اسمها دولة الإسلام في العراق والشام وأطلقوا عليها اسم داعش تقزيماً وتحقيراً. الأسباب القديمة هي ذاتها تتكرر، ورُبَّما من دون أدنى تغيير. بغض النَّظر عن الأسباب الموضوعيَّة السابقة التي تمت الإشارة إليها، فإنَّ عاملاً أساسيًّا من

عوامل إقبال النَّاس علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة هو حملة الافتراء والتَّشويه الصَّريحة الموجهة ضدَّ تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة.

عندما يرى الإنسان الكذب والافتراء يجد نفسه أمام ضرورة التَّعاطف مع هؤلاء الذين يتمُّ الافتراء عليهم. أي إنَّ العمليَّة التي يمارسها الإعلام العربيُّ والعالميُّ تأتي بعكس مبتغاها. وهٰذا هو الطَّبيعي. هم يشوهون الدَّولة الإسلاميَّة من أجل تهميشها ومحاصرتها وعزلها، ولٰكنَّهُم يفترون عليها باختلاق الكذب والافتئات، ولذٰلك ستكون النَّتيجة عكسيَّة بالضَّرورة. سيقول أيُّ واحدٍ: لو أنَّهُم وجدوا لها عيوباً لفضحوها، ولأنَّهُم لا يجدون لها عيوباً يفترون عليها.

الأمثلة علىٰ ذٰلكَ كثيرة منذ بداية الحرب التَّشويهيَّة ضدَّ تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة، التي أعلن حسن نصر الله منذ أيام أنَّها لم تعد تنظيماً وإنما أصبحت دولة، وأعلن ذٰلكَ أكثر من سياسي أمريكي أيضاً. وفي حين قال إينشتين يوماً غير بعيد: الغباء هو أن تفعل الأمر نفسه مرتين وتتوقع نتيجة جديدة، فإن المجتمع الدَّولي المناهض والمحارب لتنظيم الدَّولة الإسلاميَّة ما زال يكرِّر الخطأ ذاته ويريد نتائج جديدة. طريقة الافتراء والإفتئات علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة هي ذاتها منذ البداية لا تتغير. لا أعيد ما كان سابقاً أقف عند مشهد تدمر.

عندما بدا أن الدَّولة الإسلاميَّة عازمة علىٰ دخول تدمر جن جنون السوريين والإعلام العالمي خوفاً وهلعاً، كتبت في ٢٠١٥/٥/١٨م تعقيباً علىٰ ذٰلكَ:

أضيق ذرعاً بالبشريَّة القذرة

السوريون أشكالاً وألواناً

العرب أشكالاً وألواناً

الغرب الشرق

كلهم مستنفرون استنفاراً عجائبيًّا منذ أيام تخوُّفاً علىٰ آثار تدمر، ولٰكنَّهُم صمتوا صمتاً مطبقاً عن أثار لا تقلُّ أهميَّة وقيمةً دمرها النظام مثل مسجد العمري بدرعا عمره ١٤٠٠سنة، مسجد خالد بن الوليد بحمص وفيه ضريح ابن الوليد وعمره ١٤٠٠سنة، قلعة المرقب، قلعة الحصن وغيرها... لم يتحرك ضميرٌ واحدٌ من أجلها!!!

هل المشكلة في الآثار أم فيمن يدمر الآثار؟

دليل النفاق والقذارة العالميَّة أنَّهُم يدينون الفعل حسب الفاعل وليس الفعل ذاته، يتباكون علىٰ الأثر حسب من يدمره لا حسب قيمة الأثر، أمريكا دمرت أعز آثار العراق ولم يتفوَّه أحدٌ في العالم اعتراضاً إلا المساكين أصحاب الآثار.

المشكلة ليست في حماية آثار تدمر... المشكلة هي أنَّهُم يريدون توليع الاحتجاج علىٰ تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة... لا أكثر.

هٰذه هي القصة بحذافيها حذفوراً حذفوراً.

بعد هٰذا الكلام بأم احتلت الدَّولة الإسلاميَّة مدينة تدمر، وأعطت التطمينات للأهالي وحَتَّىٰ العالم علىٰ الآثار، فنهض رموز الافتراء والتشويه ببدعة مضحكة. مثلها مثل كثير من الانتقادات الموجهة للدولة الإسلاميَّة، كثير من الانتقادات الموجهة لها لا تخلو من أن تفرض الضحك عليك.

ولٰكن أن تصل الأمور بوسائل الإعلام المحترفة مثل البي بي سي إلى إعداد تقارير إخباريَّة تقول بأنَّ وجود طائر أبو منجل بتدمر يواجه خطر الانقراض بسبب وجود داعش... فهذا أمر لا يدعو إلىٰ الضحك ولٰكنَّهُ يدعو إلىٰ الاندهاش غير المحدود.

مثل معظم خطوات تنظيم الدَّولة غير المتوقعة وبصواب ما فيها من صواب وخطأ ما فيها من خطأ، لم تمض أيام علىٰ ذٰلكَ حَتَّىٰ قامت الدَّولة بخطوة مفاجئة هي تدمير سجن تدمر عن بكرة أبيه تدميراً شاملاً. لماذا؟ ما الفائدة؟ ما الغاية؟ سلوك مربك مع كل ما ثار من تساؤلات وتسويغات.

نقد ورفض والاحتجاج على قيام الدَّولة الإسلاميَّة بتدمير سجن تدمر أمرٌ عاديٌّ ولا يمكن الاعتراض عليه. ولٰكن أن يقال إنَّهَا دمرته لإخفاء أدلة إدانة النظام الأسدي، وإخفاء معالم جرائم الأسد... فهٰذا نقدٌ غير سطحي إنَّهُ نقد غبي.

جرائم النظام في كل شهر بل في كل أسبوع أسبوع من عمر الثورة تفوق جرائمه في سجن تدمر مئات آلاف المرات، وكلها مصورة موثقة بالدليل والبرهان القاطع ومنشوره في مختلف وسائل النشر... وكلها أدلة لا يمكن تدميرها ولا إزالتها... فماذا حدث؟ هل اعترض أحد؟

من الذي حاكم النظام أو سيحاكمه؟

وهل يعقل أن يحاكم النظام أو يدان علىٰ جرائم سريَّة في حين أن ملايين أضعافها عدة وشدة ووحشيَّة مورست بالعلن؟

فقط عندما نفكر بالمنطق يمكن أن نصل إلى نتيجة صحيحة. والبياضون لا يمكن إلا أن يبيضوا. هكذا تصميمهم وبنيتهم النفسيَّة والعقليَّة. تخيل مثلاً أن تضع أمامك الكلب وتقضي وقتاً طويلاً في إقناعه أن لا يعوي. ماذا يمكن أن تكون النتيجة؟

من هٰذا القبيل تقريبا وسائل الإعلام ويمكن القول بالمطلق: لا تريد إيصال الحقيقة... لا تريد توضيح الحقيقة... لا تريد أن يفهم الناس. إنها تريد أن تقول

ما يريد صاحبها أو ممولها أن يقوله، وأن يقنع الناس به، ويفرضه علىٰ الناس... علىٰ ألسنة ضيوف لا يجدون الفرصة للكلام بوضوح أو صراحة، ناهيكم عن أنَّ بعضهم يجتر ما تريد القناة لتظل تستضيفه.

مثل هؤلاء الضيوف يحسب المتطفلون والمتسلقون أنهم عندهم يشاركون في الافتراء الرائج يمكن أن يحصلوا علىٰ معجبين أكثر. من أجل المعجبين نكسر عنق الحقيقة والمنطق، وفوق ذلكَ لا يمكن تكون النتيجة كما يرجون. لأنَّ الدِّفاع عن الباطل لا يمكن أن يكون إلا بالباطل، فنصحح الخطأ بالخطأ فيولد خطأ ثالث وهكذا. وهكذا يتسع جمهور الدَّولة الإسلاميَّة وتمتد.

ويتساءلون:

لماذا يزداد أنصار الدَّولة الإسلاميَّة

لماذا كلما زادوا تشويها بداعش زاد أنصارها

الافتراء علىٰ داعش يزيد أنصارها

لأنَّ الدفاع عن الباطل يوقعك في التناقضات والوقوع في التناقضات يبرز مدى وقوفك مع الباطل ويبرز مدى صوابيَّة من تفتري عليه.

الفصل الثاني والعشرون

هستيريا أوروبية من اللاجئين

جنون وهستريا تجتاح أروقة السِّياسة الأوروبيَّة وكواليسها في الفترة الأخيرة(٣٦).

ما يحدث مريب مرعب يدعو إلىٰ الجنون والرعب والهلع والاستنفار بكل الطاقات والملكات والقوى المادية والمعنوية والبشرية...

معهم حق، ما يحدث لا يطاق ولا يحتمل. هناك أرقام خيالية مهوله من المهاجرين الأفارقة والأسيويين دخلت إلىٰ أوروبا في الفترة

(٣٦) .كتب هٰذا المقال إثر بداية الاستنفار الأوروبي بسبب تزايد اللاجئين السوريين ٢٠١٥/٧/٢٨م، ونشر في الفترة ذاتها.

الأخيرة، فحسب إحصاءات مؤسسات الأمم المتحدة، وهي دقيقة فيما يتعلق بأوروبا، خلاف إحصاءاتها في عالمنا العربي والإسلامي، حسب إحصاءات مؤسسات الأمم المتحدة هٰذه: منذ بداية ٢٠١٥ إلى اليوم أكثر من مئة أربعين ألف مهاجر إلىٰ أوروبا (طبعاً من كل آسيا وأفريقيا . إلىٰ كل أوروبا وخاصة دول الاتحاد الأوروبي).

الرقم هائل، مذهل، مدهش، مرعب... غير معقول، لا يمكن تصديقه، ولا قبوله، ولا احتماله: مئة وأربعين ألف. مئة وأربعين ألف مهاجر في ستة أشهر يا ناس، هل يمكن أن تحتمله أوروبا؟ هل يمكن لأحد أن يصدق أن أوروبا الصغيرة الضيقة، الرقيقة أن تحتمل مئة وأربعين ألف مهاجر؟

يااااااااالطيف الطف، يااا لطيف

مئة وأربعين ألف واحد، مئة أربعين ألف بني آدم... نتحدث عن مئة وأربعين ألف بني آدم وليس مئة وأربعين ألف فروج، مئة وأربعين ألف بني آدم يعني أنهم سيسببون مجاعة لأوروبا، وأزمة مواصلات، وأزمة كهرباء، وأزمة ماء، وأزمة سكن...

حقيقة الأمر يدعونا للإشفاق علىٰ الأوروبيين شعوباً وحكومات، ويفرض علينا التعاطف معهم، ودعوة الأمم المتحدة إلىٰ الإسراع في تشريع إجازة قصف قوارب المهاجرين وإغراقهم بلا رحمة.

يعني ماذا ستحتمل أوروبا حَتَّىٰ تحتمل؟ والله شيء يبكي الحجر.

يجب أن نراعي وضع أوروبا المحرج، وفقرها، وصغرها أمام هٰذا العدد الهائل من المهاجرين الذي يربك الدول الكبرى والعظمى. فكيف لا يربك أوروبا وهي

فقط ٢٥ دولة في الاتحاد الأوروبي. يعني لنكن واقعيين: ماذا تستطيع خمس وعشرون دولة فقط عدد سكانها أكثر من خمسمئة مليون فقط أن تفعل لمئة وخمسين ألف مهاجر؟!

وحَتَّىٰ لا نجور عليها وحَتَّىٰ لا نظلمها كلها دول صناعية، الدخل القومي لأقل دولة منها يعادل دخل الوطني العربي فقط، يعين يااااا دوب يكفي لتمشية أمورها وأمور عشرين دولة أُخْرَىٰ معها!!! فكيف يمكن لهذه الخمس وعشرين دولة أن لا تتكركب وتتكهرب وتتنرفز وتتوتر من مئة وخمسين ألف مهاجر؟!!

مسكينة هي الدول الأوروبية!! مضروبة بحجر كبير.

ونجد العذر للدول الأوروبية الخمس وعشرين إذا ما قارناها بدول عظمى وما تحتويه من لاجئين. يعني مثلاً الإمبراطورية الأردنية العظمى التي يبلغ عدد سكانها ٦٠٠٠٠٠٠ بني آدم، ست ملايين بني آدم، لا تستضيف إلا فقط أقل من مليونين ونصف لاجئ. والإمبراطورية الأردنية مساحتها أصغر من أي مقاطعة في أي دولة أوربية.

الإمبراطورية اللبنانية العظمى أيضاً علىٰ الرَّغْمِ من إمكاناتها الأسطورية العابرة للحدود الزمانية والمكانية لا تستضيف أكثر من ثلاثة ملايين لاجئ. علماً أن عدد سكانها هائل لا يقل عن أربعة ملايين. ومساحتها حدث ولا حرج... بالكاد تكون حياً في ولاية بأي دولة أوروبية.

بربكم، أليس من الظلم أن نلوم القارة الأوروبية بعد هٰذه المقارنات؟

يعني أليس من العيب والعار نقارن إمكان الإمبراطورية الأردنية أو الإمبراطورية اللبنانية مع إمكانات الإتحاد الأوروبي؟ الفرق هائل لا يسمح بالمقارنة. يعني بصراحة إذا أردنا الإنصاف إذا استضافت الإمبراطورية اللبنانية لوحدها ثلاثة ملايين فكثير علىٰ القارة الأوروبية أن تستضيف أكثر من ثلاثة آلاف. فالإمبراطورية اللبنانية أو الأردنية تستوعب ثلاثة وأربعة ملايين لاجئ بارتياح، بينما الثلاثة آلاف لاجئ يرهقون دول القارة الأوروبية، بسبب تباين الإمكانات والمساحة الجغرافية بَيْنَ الإمبراطورية اللبنانية والدول الأوروبية الخمس وعشرين.

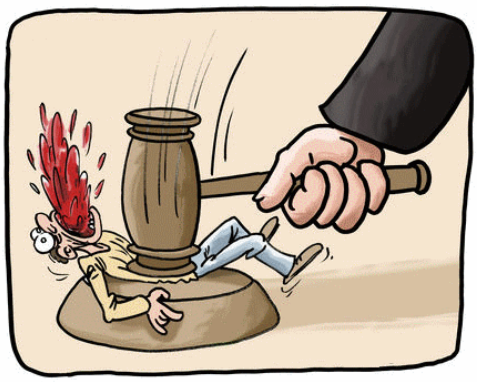

الفصل الثالث والعشرون

الثورة السورية والإحصاءات الدولية الخرندعية

لا تنخدعوا بمعطيات وسائل الإعلام والمؤسَّسات الدوليَّة[٣٧] وخاصَّةً التَّابعة للأمم المتحدة فيما يخصُّ الأزمة السُّوريَّة خاصَّة وفيما يخصُّ الأوضاع العربيَّة والإسلاميَّة. كلها تضليلٌ وكذبٌ وفبركة وتزويرٌ. لا أبالغ إذا قلت كلها.

فالرَّجاء الرَّجاء الانتباه والاحتياط وعدم الانجراف وراءها وتمرير تضليلها وتحريفها. هي معلوماتٌ خاطئةٌ وتكرارها يكرِّسها علىٰ أنَّها حقائق فيما هي

(٣٧) .كتب هٰذا المقال في ٢٠١٥/٨/٨م، ونشر في الفترة ذاتها.

ليست حقائق. حَتَّىٰ ولو كانت تريد أن تخدم الثَّورة السُّوريَّة بالكذب فإنَّنا لا نريد الكذب، ولا يجوز أن نقبل الكذب. وهي علىٰ أي حال لا تريد خدمة الثَّورة ولا سوريا، وفيما سيأتي سنعرف كيف أنَّها تسعى إلىٰ تقزيم الثَّورة وتحقيرها وتقليل قيمتها. فلا تستخدموا أرقام الأمم النتحدة ولا إحصاءاتها لأنَّهَا بلا مصداقيَّة ولا أمانة، تابعوا الأخبار واحصلوا علىٰ الأرقام بأنفسكم.

سأقف فيما يخص الثَّورة السُّوريَّة عند مجموعة من النقاط. ولننظر في الحقيقة.

عداد الشُّهداء متوقِّفٌ منذ سنتين وأكثر من سنتين عند قولهم: «أكثر من مئتي ألف قتيل...». ومنذ ذَلكَ الحين ومختلف وسائل الإعلام تكرِّر هٰذه الخدعة والأكذوبة بقصدٍ أو بلاهةٍ وغباء، والمحللون الفطاحل مثل المهابيل يكررون هٰذا الرقم بهٰذه الطريقة علىٰ مختلف الشَّاشات وفي مختلف المقالات. لا أعرف كيف صاروا محللين سياسيين وهم بهٰذه البلاهة التي تكرر علىٰ مدار عامين وأكثر وكأنَّ كل الضحايا منذ عامين هياكل ورقية أو كرتونية أو مجسَّمات بسكوتيَّة. ألم يخطر في بالهم أبداً أن يجروا أيَّ عمليَّةٍ حسابيَّةٍ صغيرةٍ لمعرفة الفرق بَيْنَ اليوم وقبل أكثر من سنتين؟!

عدد الشُّهداء فعلاً أكثر من مئتي ألف قتيل ولكم بكم؟

بعضهم يلعب علىٰ أوتار اللغة بغباءٍ منقطع النَّظير عندما يهرب من الإحصاء بأن الأكثر من مئتي ألف رقم مفتوح. والحقيقة ليست كذَلكَ. الرقم مغلق وليس مفتوحاً. فإذا كان عدد القتلى في سوريا اليوم يتجاوز النصف مليون بارتياح وارتياح شديد لأنَّ المؤكد إحصائيًّا أنَّ نحو مليون سوري فقدوا حياتهم منذ أربع سنوات إلىٰ الآن، فلماذا لا نقول أكثر من نصف مليون؟ لماذا نقول أكثر من مئتي ألف؟

إذا انتقلنا إلىٰ الجرحى والمصابين فالمصيبة لا تقل خطورة عما سبق. من بداهات الحوادث والحروب بالعام ورُبَّما المطلق أنَّ عدد المصابين والجرحى دائما يبلغ بالحد الأدنى ضعفي عدد القتلى وثلاثة أضعافهم بالوسطي. يعني هٰذا أننا أمام نحو ثلاثة ملايين مصاب وجريح ومعاق مختلف أنواع الإعاقة. ولا أحد يتحدث عنهم بالطلق وكأنهم غير موجودين علىٰ الإطلاق، لا نعني أن أحداً لا يهتم بهم، ولٰكنَّ الذين يلقون العناية أقل من ١٠% منهم، ولا يزيد عن ٢٠% ورُبَّما لا يزيد عن ٢٠% أو ٢٥%.

فإذا أضفنا المعتقلين إلىٰ الطَّرفين، ولا يقلُّون عن نصف مليون معتقل، أصبح بإمكاننا القول بارتياح أن ربع الشعب السُّوري خارج قوة الحياة.

لا أحد يتحدث في ذٰلكَ بما يجب أن يكون الحديث ولا بأقل مما يجب بألف مرة.

إذا انتقلنا إلىٰ اللاجئين، المشردين، فنحن أمام رقم وحيد صحيح أعلنته مؤسسات الأمم المتحدة المختصة منذ سنة ونصف تقريباً عندما قالت إن نحو ١٨ مليون سوري سيكون تحت خطر المجاعة بعد ستة اشهر تقريبً من ذٰلكَ الحين... بحاجة ماسة لمساعدات غذائية.

مع أنَّ هٰذا الرقم معبر بطريقة دقيقة عن حقيقة المأساة وجنونيَّة الوضع السُّوريَّة فإنَّهُ يتم التَّحايل علىٰ هٰذه الحقيقة والتَّعتيم عليها وتغييبها بمختلف السُّبل والوسائل.

لاحظوا معي. منذ سنة ونصف علىٰ الأقل بل منذ سنتين من دون مبالغة وصل عدد اللاجئين إلىٰ دول الجوار الثلاث تركيا والأردن ولبنان أكثر من أربعة ملايين سوري أكثرهم من النساء والأطفال. ومنذ أشهر بلغ عدد اللاجئين فقط

في هٰذه الدُّول الثلاث نحو سبعة ملايين، ولا تقل بحال من الأحوال ستة ملايين ونصف. ولن أقول إنَّ بقية اللاجئين في مختلف دول العالم يصلون إلىٰ المليون علماً أنَّهُم يقتربون من هٰذا العدد سأقول إنَّهُم نصف مليون تجاوزاً. يعني هناك بالحد الأدنى أكثر من سبعة ملايين لاجئ سوري في مختلف دول العالم. ٩٥% منها في دول الجوار الثلاث. ومع ذٰلكَ منذ سنتين أيضاً توقف عداد اللاجئين لدى مؤسَّسات الأمم المتحدة عند أكثر من أربعة ملايين... منذ سنتين وأكثر والأمم المتحدة ومؤسَّساتها ووسائل الإعلام والمحللون يقولون: أكثر من أربعة ملايين لاجئ!!!

طبعاً، لم نقترب هنا أبداً من نحو ثمانية ملايين سوري مشرَّد ونازح داخل الأرض السُّوريَّة. هٰؤلاء أيضاً وحدهم مأساة منقطعة النَّظير.

هٰذا ليس محض هروب من المسؤوليَّة وهروب من المواجهة وإنَّما هٰذا تقزيم لعدد الضحايا وتعتيم علىٰ حجم الجريمة وإزاحة النَّظر عنها. هٰذه جريمةٌ علىٰ جريمةٍ لأنَّهَا تريد أن توحي بأنَّهُ لا يوجد مشكلةٌ في سوريا، لا جديد يحدث في سوريا، منذ سنتين وأكثر والعدد كما هو، لا شيء جديد، إذن الأزمة مستقرة، والأمور بخير...

المسألة لا تتوقف هنا بطبيعة الحال. المسألة شائكة ومعقَّدة وطويلة أكثر من ذٰلكَ بكثير. نحن نقف عند مشهد أو مقطع من مشهد واحد من مشاهد التعتيم علىٰ الثَّورة السُّوريَّة وتغييب الحقيقة. ومع ذٰلكَ فإنَّ ما نقف عنده من هٰذا المقطع من هٰذا المشهد أقل بكثير من حقيقة المشهد الدولي التَّضليلي الذي تشترك في مختلف الأطراف ما بَيْنَ انجراف وانسياق وهبل واستهبال.

القول بأنه غير مقصود قول مدحوض مردود. والمشكلة في الببغاوات الذين يرددون من دون وعي ولا إدراك ويزعمون أنَّهُم يعلمون.

أنا لا يعنيني هنا تقصير المجتمع الدولي والعربي علىٰ نحو الخصوص تجاه اللاجئين في الداخل والخارج، وهو أيضاً تقصير مقصود متعمَّد، وحرب معلنة علىٰ الشعب السُّوري عقاباً له علىٰ ثورته... بقدر ما يعنيني التعامي المدروس المقصود للحقائق والمعطيات التي تنبئ عن لؤم بشع وقذر ومخططات قذرة وبشعة تجاه الشعب السُّوري سيَّان أكان علىٰ صعيد الضغط باتجاه حل لا يرضي الشعب السُّوري أو تلميع النِّظام وإعادة تدويره علىٰ طريق ما يسمى الحل السياسي الذي لن ينجح ولن ينجح ولو أثمر الصفاف تيناً.

البشاعة المقترنة بهٰذه التجاهلية القذرة هي محاصرة الشعب السُّوري المشرد واللاجئ في كل شيء. نحو سبعة ملايين سوري لاجئ في دول الجوار الثلاث يقولون أنهم أربعة ملايين ومع ذٰلكَ يعيشون، عموماً لا مطلقاً، ممنوعون من العمل، ممنوعون من الحركة، وأحياناً ملاحقون، ولا مساعدات إغاثية ولا إنسانية ولا يجرؤ أحد علىٰ تحويل مبلغ زهيد لسوري خشية الاعتقال بتهمة دعم الإرهاب!!!! بل إنَّ بعض شركات تحويل الأموال اتخذت قرار عدم تحويل أموال للسوريِّ.

وفي أوروبا، ولا ننكر إنسانيتهم التي لا تقارن مع الدول العربيَّة، ورقيهم الذي يستحق التقدير مع كل ما نسمع عن حركات اليمين الأوروبي المتطرف. في أوروبا لا تصل نسبة المهاجرين السُّوريين أكثر من عشرين بالمئة بل أقل من ذٰلكَ من نسبة المهاجرين من إفريقيا وآسيا التي لا تعاني شيئاً بالمطلق والعام والمقارنة مع سوريا، ومع ذٰلكَ فإنَّ أكثر الإجراءات الاحترازية تتخذ ضد السُّوريين تحديداً.

السُّوريون تحديداً لا يمنحون تأشيرة دخول إلىٰ دولة أوروبية مهما كانت الأسباب، بل إن وزارة الخارجية الألمانية قررت منذ يومين عدم منح السُّوريين تأشيرة دخول إلىٰ ألمانيا!!!

ألمانيا فعلت ذَلكَ منذ يومين. ولٰكنَّ باستثناء بعض قليل من دول آسيا غير العربية، ودول قليلة من إفريقيا غير العربية، وبعض دول أمريكا اللاتينية... فإنَّ الدول العربية عامة لا تسمح للسوريين بدخولها إلا باستثناءات قليلة، ومعها بقية دول العالم!!!

ماذا تريدون من السُّوريين؟

بربكم قولوا: ماذا تريدون من السُّوريين؟

تحاربون ثورتهم، تحاربون الهاربين، تحاربون الباقين، تكذبون في المعطيات والأرقام، تمنعون عنهم المال، والطَّعام، تمنعونهم من العمل، تخنقون في صدورهم الأمل، يهربون من الموت بقوارب الموت فتترصدون السُّوريين دون خلق الله أجمعين... فماذا تنتظرون من السُّوريين بعد ذَلكَ؟ ماذا تنتظرون؟

كتبت في منشور قصير في أواخر السَّنة الأولى من الثَّورة السُّوريَّة قائلاً: سيحتاج السُّوريُّون خمسين سنة من الكلام ليتحدثوا عن ثورتهم... ولن يصدق أكثر النَّاس كثيراً مما سيقوله السُّوريون. كان ذَلكَ مع أواخر السَّنة الأولىٰ من الثَّورة. كان عندما لم يكن هناك مادة للكلام أكثر من واحد بالمليون مما صار بعدها. فكيف سيكون الحال بعد هٰذه السنوات؟؟!!!

الفصل الرابع والعشرون

التخاذل الغربي وتمدد البركان

تحت عنوان التَّخاذل الغربي يقود إلىٰ تمدد البركان[٣٨] نشر هٰذا المقال، والحقيقة أنَّهُ بقدر ما هو تخاذل فإنَّهُ انجرار علىٰ رغم الإرادة إلىٰ الوقوع في الفخ؛ فخ الوقوع في حض الخطر الذين يهربون منها.

تقفز إلىٰ الذهن فترة السبعينيات وتثير التَّداعيات والذِّكريات بل وتفرض علينا بإلحاح إجراء بعض المقارنات التي رُبَّما لن نمرَّ بها إلا عرضاً.

(٣٨) .كتب هٰذا المقال إثر أحداث باريس ٢٠١٥/١١/١٤م، ونشر في الفترة ذاتها.

ما يحدث في هٰذه الفترة نسخة معاصرة من أحداث السَّبيعينيات. نسخة في الصُّورة؛ كان اختطاف الطائرات سهلاً في السَّبعينيات فكنا كل بعضة أيام نسمع عن اختطاف طائرة ومفاوضات واقتحامات وقتلى... اليوم من شبه الممتنع اختطاف الطائرات فصرنا ما بَيْنَ الفينة والأُخْرَىٰ نسمع عن تفجير طائرة، سقوط طائرة سقوطاً غامضاً، سقوط طائرة يتبين أنَّهُ وراءه سر... أما المفخخات والتفجيرات والاشتباكات والاختطاف والاحتجاز فهي ذاتها تتكرر بالطرائق ذاتها تقريباً...

ومثلما هو نسخة في الصُّورة كذَلكَ هو نسخة في المقدمات. في السبعينات أفاق العالم علىٰ خيبات أمل كبيرة نتيجة تراكمات امتدت منذ الحرب العالمية الثانية وتفجرت في نكسة حزيران التي كشفت عن عهر المجتمع الدولي في التآمر علىٰ القضية الفلسطينية، وفي هٰذا السياق كان المد الثَّوري اليساري يتواثب من منطقة إلىٰ أُخْرَىٰ في أرجاء العالم علىٰ وقع الدعم السوفييتي في ظلِّ الحرب الباردة بَيْنَ المعسكرين الشرقي والغربي الذي هو في حقيقته بَيْنَ السياجتين الأمريكية والروسية. وفي هٰذه الفترة ضجر العالم العربي والإسلامي خاصَّة من هيبات الأمل المتتالية من السلوك الغربي تجاه قضايا ودول العرب والمسلمين، وتفجرت خيبة الأمل في التَّخاذل الدولي والغربي خاصة تجاه الثَّورة السُّوريَّة تحديداً التي فضحت المجتمع الدولي فضائح مجلجلة.

الاختلاف في التَّسمية فقط. في حين أنَّ خطف الطَّائرات والتَّفجيرات واحتجاز الرَّهائن وإطلاق النَّار علىٰ النَّاس في الشوارع كان يسمَّى في السَّبعينيات عملاً فدائيًّا أو ثوريًّا فإنَّهُ يسمى في هٰذه الفترة إرهاباً، علىٰ أنَّ

تسمية الإرهاب ليست جديدة وإنما أخذت تحل محل العمل الثَّوري ومحل العمل الفدائي منذ أوائل الثمانيات تقريباً. ثمَّ تتاليت تمايزات المندرجات تحت تهمة الإرهاب تمايزات مريبة ومثيرة للشَّك والجدل.

افتتحت فرنسا عام ٢٠١٥م بأحداث شارلي إيبدو التي هزت العالم وليس العالم الأوروبي فقط. هزت العالم لسببين أولهما الضخ الإعلامي وثانيهما الملابسات التي أحاطت بالحادث. ولا يمكن إنكار أن الحادث كان ضخماً ومؤلماً. وها هي فرنسا ذاتها تختم العام ذاته بأحداث مريعة ومروعة جدًّا بعملية شبهت بأحداث الحادي عشر من أيلول في أمريكا لشدة ضخامتها، في هي سبع عمليات إرهابيَّة في سبع أماكن من باريس حدث في وقت واحد راح ضحيتها في التقدير الفرنسي أكثر من مئة أربعين قتيلاً ومئات الجرحى.

لا يمكن الادعاء بأن الثَّورة السُّوريَّة سبب تمدد الإرهاب في المفهوم الغربي خاصَّةً والعالمي عامَّةً، فقبل الثَّورة السُّوريَّة كانت عمليات كثيرة وليست قليلة أبرزها أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١م التي تحيط بها الكثير من الشُّبهات، وبعدها الكثير من الأحداث متفاوتة القوة والشأن. ولٰكنَّ الملاحظ أنَّ كل ما حدث تقريباً منذ أكثر من سنتين كان مرتهناً بالثَّورة السُّوريَّة ونتيجة من نتائجها بطريقة أو بأُخْرَىٰ.

هم يسمونه إرهاباً، ولٰكن ماذا يسميه مرتكبوه؟

نسلم بأنَّها أعمال إرهابيَّة، ونسلم بأنَّ تنظيم الدولة الإسلامية يمارس إرهابا ويرتكب أعمالاً وحشية. ولٰكن هل ما تقوم به الدول الغربية وغيرها أعمال خيرية؟ هل ما تقوم به الدول الغربية وغيرها تجاه المنطقة إعمال إسعافيَّة؟

لماذا لا يسألون هٰذه الأسئلة؟

إنَّهُم هم يسألون ويجيبون، يتكلمون عن أنفسهم وعن الآخرين، ويضعون علىٰ لسان الآخرين ما يريدون هم من أقوال وحَتَّىٰ أفعال. ومن البداهة بمكان أنَّكَ عندما تريد أن تحاور نفسك وتدعي أنك تحاور الآخر فأنت تمارس هلوسة سرية ووقاحة علنية وتستجلب نقمة الآخر وغضبه عليك.

قبل أيام كان تفجير الضاحية الجنوبية بلبنان، قبله بأيام تفجير الطَّائرة الرُّوسية في مصر، وقبلها أكثر من حدث في فرنسا، في إسبانيا، في بلجيكا، تصاعد ولادة التَّنظيمات التي تعلن ولاءها لداعش في عدد من الدول الإفريقية والدول الآسيوية... كل ذٰلكَ في حقيقة الأمر نتيجة حقيقية ومباشرة لتخاذل المجتمع الدولي تجاه الثَّورة السُّوريَّة والأحداث الدامية في سوريا ثمَّ في سوريا والعراق، والتَّطوُّرات التي حدثت في العراق إبَّان الثَّورة السُّوريَّة ليست إلا أحد انعكاسات التَّخاذل الدولي تجاه الثَّورة السُّوريَّة والأحداث الدامية فيها.

وما حدث قبل الثَّورة السُّوريَّة من قبيل هٰذه الأعمال أو الأحداث ليس إلا انعكاساً للسلوك الغربي ذاته تجاه المنطقة وقضاياها ومشكلاتها علىٰ امتداد القرن الماضي كلِّه وجغرافيا المنطقة كلها وليس فقط فلسطين. والذي الانتباه إليه جيِّداً هنا هو أنَّ الشَّحن الانفعالي الذي تعرض له المسلمون من خروج الاستعمار الأوروبي وتزامنه مع القضيَّة الفلسطينيَّة آخذ في التَّصاعد رويداً رويداً، والضَّغط الغربي علىٰ المنطقة أيضاً آخذ في التصاعد رويداً رويداً، وفضائح السِّياسة الغربيَّة والأنظمة

العربيَّة المرتهنة له آخذة بالانكشاف رويداً رويداً... وفي الوقت ذاته فإنَّ رد الفعل علىٰ ذٰلكَ كله كان يتصاعد رويداً رويداً .

ولذٰلك وجدنا محطَّات شبه رُبعيَّة في رد فعل شعوب المنطقة تجاه السِّياسة الغربيَّة، كل نحو عشرين سنة تظهر موجة جديدة بطريقة في مقارعة السياسات الغربية تجاه المنطقة. كل موجة أشدُّ عنفاً وأشدُّ خطراً من الموجة السَّابقة، لأنَّها علىٰ الأقل تهضم تجارب الموجات السَّابقة وسلبياتها وخيباتها وإخفاقاتها وتتجاوزها بطريقة جديدة.

هٰذا يعني، ويجب أن يعي الغرب ذٰلكَ جيِّداً، أنَّهُ كلما زاد تدخُّله الخاطئ والسَّلبي في المنطقة فعليه أن يتوَّقع مزيداً من التَّطرُّف، وموجات جديدة دائماً تكون أعنف من سابقاتها وأشد. من غير المعقول أن تكون العقليَّة الغربيَّة منغلقةً أو سطحيَّةً إلىٰ هٰذا الحدِّ إلا إذا كانت عقليَّةً انتحاريَّةً مثل عقليَّة النِّظام السُّوري الذي أراد من الشَّعب أن يقبل إطلاق النار عليه ويظل ساكتاً شاكراً حامداً للنظام والأسد...

سنتان علىٰ الأقل من عمر الثَّورة السُّوريَّة ليس فيها متطرِّف، ولا وجود للتطرُّف، ومع ذٰلكَ كان الإعلام الغربي يبدي مخاوفه من التطرف، ويحارب الثَّورة السُّوريَّة سرًّا ويدعمها إعلاميًّا علناً، ويعلن عن مخاوفة من وصول الإسلاميين إلىٰ السلطة بعد بشار الأسد... فدفع النَّاس دفعاً للتطرف. واستمرَّ في خذلانه الثَّورة السُّوريَّة والشَّعب السُّوري فزاد في التطرف كمًّا ونوعاً، وظهر في هٰذا السِّياق تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة داعش. وبدل أن يحارب العالم السبب كما يقول هو، أي بدل أن يحارب النِّظام السُّوري سبب هٰذا التطرف راح يدعم الأسد ونظامه ولا

يرى في سوريا إلا داعش والنصرة وأي تشكيل يحمل اسماً إسلاميًّا!!! فكيف ستكون ردة فعل السُّوريين والعراقيين والمسلمين في العالم؟

والغريب الطَّريف العجيب أنَّهُ في اليوم التَّالي لأحداث باريس الدَّامية، التي كانت ضربة أكثر من موجعة لفرنسا وأوروبا والغرب كله أن يجتمع قادة أوروبيون وأمريكيون في ڤيينا لبحث الشأن السُّوريَّة ويتفقون علىٰ بقاء الأسد ومحاربة الجماعات الإسلاميَّة في سوريا وإن قالوا داعش والنُّصرة فقط. ويتوقعون أن تنتهي الأمور بهٰذه البساطة وهٰذه السُّهولة لمحض أنَّهُم يتوهمون أنَّهُم يسيطرون علىٰ بعض الكتائب أو تشكيلات الثَّورة المسلحة.

ما يحدث يوحي بأن الأمور ذاهبة إلىٰ مزيد من التَّصعيد والانشقاقات والدَّمويَّة أكثر بكثيرٍ مما يحدث الآن. الأمر ليس كما يتوهم لافروف وكيري وبوتين وأوباما. تحدث كثيراً في الحلول السِّياسية المقترحة، إنَّهَا لا تعدو كونها حلولاً تحشيشية تصنعها أوهام من يغمضون عينيهم ويقولون في رابعة النَّهار: لا توجد شمس. وهي في الحقيقة حلول لا يمكن تطبيقها علىٰ الإطلاق علىٰ أنَّها حلول، إنها استفزاز واستحقار واستحمار للشَّعب السُّوري كلِّه ما عداً من ما زال يقف مع النِّظام.

هٰذه الحلول بما هي كذٰلكَ، في ظلِّ هٰذه الظُّروف والمعطيات السَّائدة، فإنَّها تضع سوريا والمنطقة والعالم أمام خيار واحدٍ وواحدٍ فقط هو تعزيز الولاء لداعش وزيادة مناصريها سرًّا وجهراً في سوريا والعراق والعالم، ووضع العالم علىٰ شفير بركان من العنف والإرهاب الذي لن ينتهي. فالحرب علىٰ النصرة والإسلاميين والذين يرفضون الحل السِّياسي

بقيادة بشار الأسد يعني مبايعتهم للدَّولة الإسلاميَّة باحتماليةٍ عاليةٍ جدًّا، ناهيكم عن مئات آلاف الآشخاص الذين كانوا خارج اللعبة العسكرية الذين سينتفضون علىٰ هٰذه الهزيمة البشعة للكرامة والحرية والتضحيات علىٰ مدار خمس سنوات.

في أحسن الأحوال فإنَّ فَرْضَ حلٍّ سياسي مع افتراض خروج الدولة الإسلامية من الساحة يعني إلقاء قليل من الرَّماد علىٰ جمرٍ بل لهبٍ لا يمكن إلا أن ينفجر بركاناً قريباً أشدَّ مما هو عليه الآن. وعلىٰ الجميع أن يدفع الثَّمن حينها.

علىٰ أي حال، لا بُدَّ من إعلان حقيقة مرَّة وقاسية. إن كان السُّوريون أو بعضهم توقعوا دعماً أو مؤازرةً للثَّورة السُّوريَّة علىٰ النِّظام، ولا يلامون في ذٰلكَ علىٰ ضوء الخداع الذي ظهر وبدر، فإنَّ المنطق التَّاريخي والسِّياسي يعفيهم تماماً من أيِّ تدخُّلٍ أو مساعدةٍ، ولا يلامون في عدم المساعدة والدَّعم... المشكلة ليست هنا في حقيقة الأمر، المشكلة في أنَّهُم وقفوا ضِدَّ الثَّورة السُّوريَّة، ضدَّ طموحات الشَّعب السُّوري، ضدَّ رغبة الشَّعب السُّوري، سواء أكان محقًّا في رغبته أم غير محقٍّ، هٰذا شأنهم. ومن ثَمَّ فإنَّ المشكلة ليست في عدم دعم الثَّورة كما قد يتوهم بعض من يقرأ هٰذا الكلام، وإنَّمَا المشكلة في وقوفهم ضدَّ الثَّورة ومحاصرتها ومحاربتها بل ومؤازرة النِّظام ودعمه سرًّا وعلناً.

الفصل الخامس والعشرون

ويستمر خبل الخبراء الاستراتيجيين

في يوم القرارات الأممي اتخذت الأمم المتحدة ثلاث قرارات، اثنان سم زعاف، وواحد لتطرية النُّفوس والتَّمويه(٣٩).

قرار مجلس الأمن هو المشروع الفرنسي الذي يطالب بتكثيف الجهود الدُّوليَّة لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية داعش، علماً أنَّ الجهود الدولية علىٰ قدم وساق منذ سنة وشهرين، معظم دول العالم المتحاربة متحالفة في الحرب علىٰ الدولة الإسلامية؛ أمريكا وإسرائيل وأوروبا ثمَّ

(٣٩) .كتب هٰذا المقال يوم القرارات في ٢٠١٥/١١/٢٠م، ونشر في مقاطع علىٰ صفحتي في الفيسبوك والتويتر.

روسيا والدول العربية كلهم في حلف واحد... حَتَّىٰ الفيسبوك وتويتر وچوچل وياهو معهم... ومع ذَلكَ يستمر الحشد الدولي أكثر وأكثر... ومع ذَلكَ أغلب المحللين العرب تحديداً وليس الغربيين يرون أن تنظيم الدول عميل لأمريكا أو عميل للنظام أو عميل لإيران وبعضهم يراه عميلاً لهم كلهم!!!

تيهوا تاهوا توهوا

أمريكا وفرنسا وروسيا وإيران وإسرائيل والنظام السوري والأكراد كلهم يكذبون، يقولون إِنَّهُم يحاربون الدَّولة الإسلاميَّة ولَكنَّهُم يكذبون، لا يفعلون، وما حَشْدُ البوارج والقصف بالطائرات والصواريخ العابرة للقارات إلا تمثيل بتمثيل... فالدولة الإسلامية عميلة للنظام وصنيعة أمريكا وعميلة إيران وصنيعة الغرب وربيبة إسرائيل... فكيف يحاربونها؟؟؟ كله كذب وتمثيل وخداع وتضليل!!!

تيهوا تاهوا توهوا

علىٰ أيِّ حال، لم يحظ هٰذا القرار بالمناقشة والتَّحليل مثلما حظي القرار الثَّاني قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة بشأن سوريا.

تابعت الذين حللوا وناقشوا قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة شبه الإجماعي المطالب بخروج كل المقاتلين الأجانب من سوريا بمن فيهم إيران وحزب الله والمليشيات الشيعية العراقية، ما عدا الرُّوس فعلىٰ رأسهم ريشة.

ولٰكن لم أجد واحداً يفهم الطِّيخ من البطِّيخ، ولا الخمسة من الطَّمسة. حقيقة في كل من تابعتهم علىٰ عدد من المحطات لم أجد من

يفهم شيئاً في السِّياسَة وكلهم أعلام ونجوم التحليل السياسي، والخبراء والاستراتيجيون...

الفريق الأسدي رفضه وأدانه وشتم متخذيه ورافعيه ومناقشيه. أما الخبراء والمحللون الاستراتيجيون كلهم أشادوا بالقرار، فرحوا به، رأوه بداية الانفراج الدولي، وبداية تغيير المواقف من الصراع، وبداية الفهم الصَّحيح لحقيقة ما يحدث في سوريا، وإدراك مخاطر ما سيأتي... وهلمَّ شحطاً في هٰذه السِّلسلة.

هٰذا الهبل الذي لم يتوقف منذ بداية الثَّورة السُّوريَّة وقيادتها إلىٰ الهلاك بهٰذه التحليلات السَّخيفة والخاطئة التي لا ترى أبعد من الأنف، وتحلِّل بطريقةٍ لا علاقة لها بالفهم الصَّحيح، ولا الاستراتيجي.

القرار صادرٌ عن الجمعيَّة العامَّة للأمم المتحدة. أي إنَّهُ قرارٌ غير ملزمٍ، وبنصه غير ملزمٍ. يعني ذٰلكَ مباشرة أنَّهُ لا قيمة له علىٰ الإطلاق، ولا تأثير له علىٰ الإطلاق، ولو كان بموافقة إجماعيِّة تامَّةٍ.

غرهم نص القرار، وأن ١٥١ عضوا وافقوا عليه، ورفضه خمسة عشر، ولم يصوت ععليه٥١ عضواً. الموافقون والمعترضون لا يقدِّمون ولا يؤخرون لأنَّ القرار أساساً غير ملزم. إذا كانت فيما سبق قرارات سابقة اتخذت صفة الإلزام في الشأن السُّوريَّة لم تطبق ولم يلتزم أحد بها لا من الدَّاخل السُّوري بأقطابه، ولا من مختلف دول العالم؛ قرار التسليح، والمقاتلين الأجانب... فكيف يمكن لقرار غير ملزم أن يفعل شيئاً أو يؤثر شيئاً؟؟

نص القرار غرَّهم وأغراهم، مثل كل ما سبق من قرارات في الشأن السُّوري راحوا يسيرون وراء سرابها ويضعون السِّيناريوهات والأحلام

والتَّوقُّعات ويخربون الثَّورة وسوريا والسُّوريين بهٰذه الأوهام التي يتوهمونها ويخدعون السُّوريين بها، الذين من ألمهم يعيشون علىٰ هٰذه الأوهام علىٰ أنَّهَا حقائق.

ظنوا أنَّ القرار يدين حزب الله وإيران ومليشيات الحشد الشَّعبي الشِّيعي العراقيَّة في سوريا، وهٰذا وهم، وخطأ في الفهم. القرار لا يدينها، إنَّهُ فقط يطالبها بالخروج. ومعها يطالب بخروج كل من يقاتل مع المعارضة السُّوريَّة.

لماذا اتخذ القرار في هٰذا الوقت؟

إنَّ محض اتخاذ القرار بهٰذا كان يجب أن يثير علامات الاستفهام لديهم. ألم يدرك المجتمع الدولي ضرورة ذٰلكَ طلية ما مضى من سنوات الثَّورة؟

ما يجب أن يكون واضحاً أنَّ القرار ليس من أجل الثَّورة السُّوريَّة، وليس من أجل مصلحة الثَّورة السُّوريَّة علىٰ الإطلاق، بل هو ضدَّها وفي مصلحة النِّظام السُّوري. أي علىٰ عكس ما توهمه كل المحللين السِّياسيين الاستراتيجيين منهم وغير الاستراتيجيين، وحَتَّىٰ محللي النِّظام السُّوري وأنصاره الذين لعنوا القرار ومن اتخذه بمختلف أنواع السباب والشَّتائم.

القرار بنصه وصيغته جاء لامتصاص المخاوف الإسلامية (السنية) وارتياباتها وشكوكوها في المجتمع الدولي التي بدأ واضحاً جليًّا أنَّها منصبة علىٰ محاربة الإسلام السني تحديداً والسكوت عن كل من يحارب الإسلام السني مهما كان، ومن ذٰلكَ السكوت عن جرائم الحشد الشَّعبي الشيعي في العراق وسوريا، وحزب وإيران في سوريا، وفي العراق.

كل من يتابع بأدنى حدود الاهتمام يدرك تمام الإدراك أنَّ جرائم الحشد الشَّعبي الشِّيعي في العراق تفوق عشرات آلاف أضعاف جرائم الدولة الإسلامية قبل ظهورها وبعد ظهورها، ومع ذَلكَ لم يرى العالم كله سياسيًّا وإعلامياً إلا جرائم الدَّولة الإسلاميَّة لأنها مسلمة أي سنيَّة. وفي سوريا كذَلكَ. وكثرت التساؤلات والشكوك والاحتجاجات علىٰ هٰذه الرؤية الموتورة الأحاديَّة لما يحدث في المنطقة. وقد وجد الغرب نفسه في موقف حرج في طريقة سياسيته لهذه الأزمة، ولذَلك لاحظنا في الآونة الأخيرة تراجع الحضور الغربي في قصف الدَّولة الإسلاميَّة في سوريا والعراق وتظهير الحضور العربي الإسلامي (السني) في عمليات القصف لإظهار أنَّ العرب المسلمون السُّنة هم الذين يحاربون الدولة الإسلامية السنية وليس الغرب. بل أكثر من مرة صرح مسؤولون أمريكيون وأوروبيون بوضوح أن هٰذه الحرب هي حربكم؛ أنتم من يجب أن يحارب الدولة الإسلاميَّة، نحن لا دخل لنا. ولولا دخول روسيا علىٰ الخط وتحفيز الدول الغربية، وأحداث فرنسا التي استدرجت الغرب من جديد لهٰذه الحرب لبقيت الدُّول العربيَّة وحدها من يقصف الدَّولة الإسلاميَّة في سوريا والعراق.

جاء القرار بصيغته السطحية المطالبة بخروج المقاتلين الأجانب من سوريا بمن حزب الله وإيران ليقول إننا نتعامل مع الجميع علىٰ قدم المساواة. فيما أفترض أنَّ أصغر الناس يعلم أنَّ المقصود تحديداً هو المقاتلين الذين يقاتلون مع الثَّورة السُّوريَّة أيًّا كانت التشكيلات التي

ينضوون تحتها، ويقصدون أكثر ما يقصدون مقاتلي الدولة الإسلاميَّة وجبهة النُّصرة.

هم يدركون تمام الإدراك أن إيران وحزب الله والميلشيات الشيعية العراقية لن تغادر سوريا. ولن تلتزم بالقرار الدَّولي هٰذا الذي استمر في تصدير خداعه وتضليله للشَّعب السُّوري بأن الدُّول التي صوتت مع القرار تقف مع الثَّورة السُّوريَّة ومع الشَّعب السُّوري. في الوقت الذي نجد أنَّ كلَّ الدُّول التي صوتت مع القرار ترفض استقبال السوريين وتحاربهم وتضيق عليهم مختلف أنواع التَّضييق. فكيف يستقيم هٰذا مع وقوفهم مع الثَّورة السُّوريَّة والشَّعب السوري؟!

علىٰ افتراض أن الميليشيات الشيعية اللبنانية والعراقية والإيرانية وغيرها ممن يقاتلون مع النِّظام سيلتزمون ويخرجون، وهٰذا غير ممكن، فإنَّ روسيا قررت أن تسدَّ الفراغَ، فالقرار استثنى روسيا، يعني روسيا يحق لها أن تقاتل في سوريا، وهي كما قال بوتين تقاتل في سوريا تحت غطاء المادة ١٥١ من ميثاق الأمم المتحدة. وكما قال بوتين فإنَّهُ أمام عملية كبرى ونوعية جديدة احتار المحللون فيها، فهو لم يفصح عنها، وهو يقصد غالباً الدُّخول البري إلىٰ سوريا لسدِّ فراغات عجز المليشيات، واستخدام القوَّة المفرطة إلىٰ أبعد الحدود ضدَّ الثَّورة السُّوريَّة لوضع حدٍّ للثورة.

في عودة إلىٰ تحليلات فطاحل الإعلام العربي من سوريين وعرب الذين شوهوا العقل العربي والسُّوري بتحليلاتهم السُّطحيَّة الخاطئة جعلوا السُّوريين ينامون في العسل، مثلما فعلوا علىٰ مدار ما سبق من أيام

الثَّورة السُّوريَّة، ويترقبون المدد والمؤازرة من أمريكا مرة ومن أوروبا مرة ومن الدول العربية مرة حَتَّىٰ تقطعت بهم السُّبل وانقطعت بهم الأسباب وتشتتوا وتشرذموا وضاعت الثَّورة وهم يترقبون نتائج تحليلاتكم الغبيَّة.

أعرف أني قسوت ولٰكنَّ الصَّبر فاض وضاق الصَّبر من الصَّبر. ومع ذٰلكَ أقول لست متحاملاً عليهم، راجعوا أرشيف تحليلاتهم للثورة السُّوريَّة من البداية وتابعوها خطوةً خطوة واحكموا بأنفسكم... بل فليحكموا هم بأنفسهم بعد مراجعة تحليلاتهم بالصوت والصورة، لأن أكثرهم سينكر ويزعم كان يفهم وكان يعرف وأنه توقع وأنَّهُ قال... ارجعوا إلىٰ اللقاءات بالصَّوت الصُّورة، وإلىٰ منشوراتكم ومقالاتكم واحكموا.

وفي هٰذا السياق أختم بخبير استراتيجي ومحلل سياسي لطالما كان مدهشاً في تحليلاً، تحدث قبل يومين في برنامج بلا حدود علىٰ قناة الجزيرة حديثاً أكثر كلامه تخبيص بتلبيص، صعقني بعد تقديري له في لقاءاتٍ سابقةٍ. قال مما قال في هٰذا التَّخبيص مبرراً تقسم الدول العربيَّة المطروح علىٰ طاولات الغرب حالياً: «عندي مثال انفصال جنوب السُّودان، وضع حدًّا لحرب طويلة وآلاف القتلى... وهٰذا شيء جيد». وتابع بمتهى البلاهة المحزنة كلامه: «ولٰكن اشتعل القتال الداخلي في قلب جنوب السودان». يكفي ما في هٰذا التناقض من وضوح، ولا أريد أن أناقش كثير بلاهاته في هٰذا اللقاء لأنه يرفع الضغط مع عريس الغفلة الذي استضافه.

صدر من كتب المؤلف

- أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحور نظرية عربية في التوثيق . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.

- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.

- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- رئيس وأربعة فراعين .. دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العالم على البركان . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.

- العرب أعداء أنفسهم؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.
- العرب جثة تنهشها الكلاب؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال الإعلاني . دار حدوس وإشراقات . عمان/ الأردن . ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأَصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.

- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.

- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . ط١: دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م. ط٢: دار إنانا ٢٠١٠م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.

الفهرس

الإهداء ٠٠٥
مقدمة الكتاب ٠٠٧
الفصل الأول: أمريكا تحفر قبرها بيدها ٠١١
الفصل الثاني: علىٰ نفسه جنى الغرب..... ٠١٧
علىٰ نفسه جنى الغرب..... ٠١٧
من يصنع التطرف الإسلامي؟..... ٠١٩
تباً لكم كيف تحكمون!..... ٠٢٠
الفصل الثالث: براعة الغرب في صناعة الأعداء ٠٢٣
أطالب بتحويل قادة الغرب إلىٰ مصحات عقلية..... ٠٢٣
براعة الغرب في صناعة الأعداء..... ٠٢٦
الفصل الرابع: ماذا جرى بباريس ولماذا؟..... ٠٣١
الفصل الخامس: إعدام الشاهد ٠٣٧
الفصل السادس: الغرب يصب الزيت علىٰ النار..... ٠٤٥
الفصل السابع: كيف يصنع الغرب التطرف؟..... ٠٥٣
الفصل الثامن: كيف قتلت أمريكا معاذ الكساسبة؟..... ٠٥٩
الفصل التاسع: هل تريد أمريكا حسم الحرب ضد الدولة الإسلامية؟ .. ٠٦٣

الفصل العاشر: الغرب يبلع السكين علىٰ الحدين ٠٧١
الفصل الحادي عشر: زوم إن زوم إف اقصف..... ٠٧٩
الفصل الثاني عشر: هل قلبت أمريكا الطاولة؟..... ٠٨٥
الفصل الثالث عشر: أمريكا تستغبي المعارضة ولا ألومها..... ٠٩٣
الفصل الرابع عشر: هل بدأ البركان بالانفجار؟..... ٠٩٩
الفصل الخامس عشر: التناقض الأمريكي يصل للذروة ١٠٧
الفصل السادس عشر: مخيم اليرموكاني والنفاق الدولي..... ١١٣
الفصل السابع عشر: ارتباك عالمي بسبب تقدم الثوار..... ١١٧
الفصل الثامن عشر: محاربة الثورة للحفاظ علىٰ المؤسسات! ١٢١
الفصل التاسع عشر: النظام ينهار ويخططون لحل سياسي بعد أشهر .. ١٢٧
الفصل العشرون: الأمم المتحدة تغيث النظام ١٣٣
الفصل الحادي والعشرون: الافتراء علىٰ الدولة الإسلامية يزيد أنصارها .. ١٤١
الفصل الثاني والعشرون: هستريا أوروبية من اللاجئين ١٤٧
الفصل الثالث والعشرون: الثورة والإحصاءات الخزندعية الدولية ١٥١
الفصل الرابع والعشرون: التخاذل الدولي وتمدد البركان ١٥٧
الفصل الخامس والعشرون: ويستمر خبل الخبراء الاستراتيجيين..... ١٦٥
صدر من كتب المؤلف ١٧٣
الفهرس..... ١٧٩

العالم العربي
The Arab World for Publishing

WEST OFFENDER HIMSELF
Historical And Political Study

BY BROF. Dr
EZZAT ASSAYED AHMAD

Publisher

The Araboc World for publishing

Amman. 2015

Emil: sameah3@gmail.com

Telephone: 00962798948102

WEST OFFENDER HIMSELF

Historical And Political Study

BY BROF. Dr

EZZAT ASSAYED AHMAD

الدكتور عزت السيد أحمد

الغرب الجاني على نفسه

قراءة سياسية تاريخية

WEST OFFENDER HIMSELF
Historical And
Political Study
By Prof. Dr.
Ezzat Assayed Ahmad

العالم العربي
The Arab World
for Publishing

هذا الكتاب

الحقيقة التي لا يدركها الكثيرون أو ربَّما لا يريدون إدراكها هي قدريَّة سيرورة التَّاريخ، تلك القدريَّة التي تجعل الشَّخص أو الأمَّة، والأمَّة بحكم الشَّخص، تسير إلى قدرها، إلى نهايتها، إلى مشكلتها، إلى المأساة التي تهرب منها... بيدها هي ذاتها هي ذاتها وهي تدافع عن نفسها ضدَّ مشكلة أو شيء تخاف منها تجد نفسها مندفعة على على الرغم منها إلى الوقوع فيما تخاف منه وتهرب منه. الغرب يجني على نفسه بهذه الطريقة؛ وهو يهرب من مواجهة الانهيار يقود نفسه إلى الانهيار، وهو يهرب من من السقوط في الهاوية يندفع إلى الهاوية أو يجعل الهاوية تندفع إليه.

هذا طبيعي جدًّا، فمن يدافع عن الباطل لا يمكن إلا أن يقع في التَّناقض، وبالمعاندة يجر التناقض إلى تناقض... ويقع المحظور.

الناشر